

تأليف
أ. د. عبد الشافي محمد عبد اللطيف
أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الأزهر

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

لصاحبها

عبد القادر محمود البكار

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشئون الفنية .

عبد اللطيف ، عبد الشافي محمد
العلمانية في الفكر الإسلامي / تأليف عبد الشافي محمد عبد اللطيف . - ط ١. - القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠٠٦م .
١٩٢ ص ، ١٢ × ١٧سم .
تدمك ٢ ٣٨٣ ٣٤٢ ٩٧٧
١ - العلمانية .
٢ - الثقافه الإسلامية .
أ - العنوان .
٢٠١,١٦

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية

الإدارة : ١٩ شارع عمر لطفي مواز لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر
هاتف : ٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس : ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)

بريديًا : ص.ب ١٦١ الغورية الرمز البريدي ١١٦٣٩

البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com

موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

في الصفحات التالية سنحاول معالجة موضوع على جانب كبير من الأهمية ، وهو موضوع العلمانية في الفكر الإسلامي ، وسنُبَيِّنُ قدر الجهد والطاقة متى وأين وكيف ولماذا ظهرت العلمانية في العالم ؟ وما المقصود منها ؟ ومن ثم كيف ظهرت في العالم الإسلامي ؟ وكيف استقبلت ؟ وماذا كان موقفه منها ؟ .

والعلمانية ينطقها البعض بكسر العين وينسبها إلى العِلْم ، وينطقها البعض بفتح

العين وينسبها إلى العَالم ، وهي من الكلمات أو المصطلحات حديثة الاستعمال في اللغة العربية ، فلم يكن لهذه الكلمة بلفظها ومفهومها وجود في المجتمع الإسلامي عبر تاريخه المديد ، بل وافدة إلى المجتمع الإسلامي من الغرب ؛ لأنها وليدة المجتمعات الغربية المسيحية ؛ لظروف تاريخية ، وملابسات خاصة - وسنشرح ذلك تفصيلًا فيما بعد - ولكن من المهم هنا أن نشير إلى أن بعض الباحثين يرى أن كلمة علمانية لا يمكن أن تنسب إلى العلم ، فهي ترجمة للكلمة الإنجليزية secularism سيكيولارزم ،

والكلمة الفرنسية secularite
سيكيولاري، وهذه الكلمات لا صلة لها
بلفظ العلم على الإطلاق ، فالعلم في
الإنجليزية والفرنسية تُعبر عنه كلمة science
ساينس ، والمذهب العلمي يطلق عليه
scientism ساينتزم ، والنسبة إلى العلم في
الإنجليزية scientific ساينتيفك ، وفي
الفرنسية scientifique ثم إن زيادة الألف
والنون غير قياسية في اللغة العربية في الاسم
المنسوب ، إنما جاءت سماعًا في كتب
المتأخرين – مثل كلمات : روحاني،
وجسماني، ونوراني ... إلخ – ،
والترجمة الصحيحة لكلمة العلمانية –

عند هذا البعض – هي : اللادينية ، أو الدنيوية ؛ لا بمعنى ما يقابل الأخروية فحسب ، بل بمعنى أخص ودومًا له صلة بالدين ، أو ما كانت ، علاقته بالدين علاقة تضاد ، وتتضح تلك الترجمة الصحيحة من التعريف الذي تورده المعاجم ودوائر المعارف الأجنبية لكلمة العلمانية ، فدائرة المعارف البريطانية تقول : secularism هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها ؛ ذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا

والتأمل في اللّٰه واليوم الآخر ، وفي مقاومة هذه الرغبة طفقت كلمة secularism تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية ؛ حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية والبشرية ، أو بإمكانية تحقيق مطامعهم في هذه الدنيا الغريبة .

وظل هذا الاتجاه يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله باعتبارها حركة مُضادة للدين ومضادة للمسيحية [١]

(١) انظر كتاب : العلمانية ، نشأتها ، وتطورها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، تأليف : سفر عبد الرحمن الحوالي (ص٢١ ، ٢٢) ، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع .

وعلى كلٍّ فللكلمة تعريفات وتفسيرات أخرى كثيرة ؛ لأنها من أهم الكلمات والمصطلحات التي شغلت المفكرين في الغرب والشرق [(١)] .

ولما كانت العلمانية قد ظهرت في أوربا كرد فعل لطغيان الكنيسة الكاثوليكية وسيطرتها على كل الشؤون الدينية والمدنية فاقتضى البحث أن نبدأ بالحديث عن

---

(١) طالع كتاب : العلمانية تحت المجهر للدكتورين عبد الوهاب المسيري ، وعزيز العظمة ، دار الفكر - دمشق ، وكتاب : الديمقراطية بين العلمانية والإسلام للدكتورين عبد الرزاق عيد ، ومحمد عبد الجبار - دار الفكر دمشق (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) .

الدين في أوربا قبل ظهور المسيحية ، ولما ظهرت المسيحية كيف اضطهدتها الإمبراطورية الرومانية - التى كانت هي أوربا في ذلك الوقت تقريبًا لعدة قرون ، ثم أخيرًا أذعنت للأمر الواقع واعترفت بها ، ولما خرجت المسيحية منتصرة فقد أخذ نفوذ الكنيسة يزداد ويستفحل حتى وصلنا إلى نقطة الصدام بينها وبين الدولة والعلماء ، وفي خلال ذلك نوضح موقف السيد المسيح من الدولة ونتبع ذلك بالحديث عن موقف الإسلام من الدولة ونظام الحكم ، وكيف استقبل الفكر الإسلامي العلمانية عند تطورها فيه وما هو

موقفه منها وبالله التوفيق .

أوربا والدين

أوربا لم تكن تعرف دينًا سماويًا قبل ظهور المسيح ﵇ ؛ لأن جميع الأنبياء والرسل الذين تحدثت عنهم الكتب السماوية - التوراة والإنجيل والقرآن الكريم - كان موطنهم ومبعثهم المنطقة العربية ، فنوح ﵇ كان في العراق ، وهود ﵇ كان في منطقة الأحقاف - جنوب شرق شبه جزيرة العرب - وهي المنطقة المعروفة الآن بالربع الخالي ، والتي أشار إليها القرآن الكريم باسم الأحقاف ؛ حيث يقول الله تعالى : ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ

أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢١] ، وصالح عليه السلام كانت بعثته ورسالته في شمال غرب شبه جزيرة العرب في المنطقة التي سماها القرآن الكريم الحجر ، وهناك سورة في القرآن سميت باسم تلك المنطقة كما سميت سورة باسم الأحقاف أيضًا ، وإبراهيم عليه السلام بدأ في العراق ، ثم انتهى به الأمر إلى فلسطين – كما هو معروف ، وابن أخيه لوط كانت رسالته في شرق الأردن وهو معاصر لعمه إبراهيم ، وبعد إبراهيم عليه السلام تتابعت الرسالات في

فلسطين ، فإسحاق ويعقوب كانا هناك في مدينة الخليل التي سميت باسمه وهي حبرون القديمة ، وموسى وهارون بدأت رسالتهما في مصر ، وهكذا إلى أن ولد المسيح في بيت لحم في فلسطين ، وأرسل إليه هناك ، ثم بشَّر هو نفسه عليه السلام بخاتم الأنبياء محمد بن عبد اللّه - عليه الصلاة والسلام - الذي بعث في الحجاز ، حتى قال اللّه تعالى على لسانه : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ ﴾ [الصف : ٦] ، فكل هؤلاء الرسل الكرام وعددهم خمسة وعشرون نبيًا ورسولًا ولدوا وبعثوا

برسالاتهم في المنطقة العربية .

ولم تحدثنا الكتب السماوية التي أشرنا إليها عن أنبياء ورسل خارج تلك المنطقة ، وهذا لا يعني أنه لم يكن هناك أنبياء ورسل في مناطق أخرى من العالم ؛ لأن اللّٰه تعالى يقول للنبي محمد ﷺ في القرآن الكريم : ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٣، ١٦٤] .

فأوربا قبل ظهور المسيح عليه السلام كانت تعيش عصر الوثنية ، أي : تعدد الآلهة ؛ لأن المرجعية الدينية والثقافية والحضارية لأوربا هي بلاد الإغريق - اليونان - والإغريق عرفوا تعدد الآلهة ، فعندهم إله للحب ، وإله للحرب ، وإله للجمال ، وإله للمطر .... إلخ ، وهذا شِرك باللَّه عز وجل .

فلما ظهر المسيح عليه السلام ، ودعا الناس إلى توحيد اللَّه عز وجل ، وقال : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [مريم : ٣٦] ، وقفت الإمبراطورية الرومانية موقفًا صارمًا ضد هذا الدين ؛ لأن المسيح كما هو معروف ولد ونشأ وأرسل إليه وهو في فلسطين ،

وفلسطين في ذلك الوقت كان جزءًا من الإمبراطورية الرومانية التي كانت أكبر وأقوى دولة في العالم في ذلك الزمان ؛ حيث كانت مساحتها تمتد من الجزر البريطانية في أقصى غرب أوربا إلى نهر الفرات في الشرق ، وكانت سيدة البحار ؛ حيث إن البحر الأبيض المتوسط كان يُطلق عليه بحر الرومان ، والدولة الرومانية اضطهدت المسيح عليه السلام حتى وهو طفل صغير ، وحاولت قتله ، الأمر الذي اضطر يوسف النجار ابن خالة السيدة مريم وخطيبها السابق أن يأخذ الطفل وأمه ويذهب به إلى مصر هربًا من بطش حاكم فلسطين الروماني

فيما عرف برحلة العائلة المقدسة .

وقد آوتهم مصر ووفَّرت لهم الأمان وأخفتهم عن عيون حاكم مصر الروماني أيضًا ، وبعد فترة قضاها المسيح في مصر عاد إلى فلسطين ، وجاء الوحي من اللَّه ﷻ وهو الإنجيل الذي وصفه بأنه هدًى ونور ، حيث يقول تعالى في القرآن الكريم : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٤٦] ، والمسيح ﷺ أرسل إلى بني إسرائيل الذين حرَّفوا التوراة وشوَّهوا عقيدة التوحيد ،

فجاءهم ليهدي خِراف بني إسرائيل الضالة حسب تعبيره .

يقول اللّه تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ

ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾

[آل عمران: ٤٥- ٥١] .

ولكن بني إسرائيل لم يستجيبوا له ، بل حرَّضوا ضده الحاكم الروماني على قتله وصلبه كما هو معروف لكافة الناس ، ولكن اللّه تعالى نجَّاه من الصَّلب والقتل

كما أخبر بذلك القرآن الكريم – سورة النساء آية ٥٧ – .

وبعد أن انتهت حياة المسيح على الأرض، اضطلع الحواريون – وهم تلاميذه الذين آمنوا به وعلَّمهم – بنشر المسيحية ، وتعرضوا للاضطهاد والتعذيب من قِبل الدولة الرومانية ، وكُتب التاريخ تفيض بأخبار هذا الاضطهاد ، وكيف أنهم كانوا يؤدون شعائر دينهم بعيدًا عن عيون السلطة في السراديب المظلمة وفي أعماق الكهوف والمغارات [1] .

(١) انظر عن ظروف انتشار المسيحية في الإمبراطورية الرومانية وموقف الإمبراطورية منها ، كتاب الدكتور =

وامتد أذى الدولة الرومانية إلى أتباع المسيح في كل أرض كانت خاضعة لهم ، وقد نال المصريين من ذلك نصيب وافر من الظلم والاضطهاد والقتل والتشريد ، حتى أن الكنيسة المصرية تؤرخ لنفسها بعصر الشهداء ، وهو العصر الذي قتَّل منهم فيه الإمبراطور الروماني الوثني دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥ م) عشرات الألوف [١] ، وكانت الدولة

= سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى (جـ ١) التاريخ السياسي ، الطبعة السابعة ، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ، (ص ٣٣) ، وما بعدها .

(١) المرجع السابق (ص ٣٨) .

الرومانية تعتبر اعتناق المسيحية جرمًا في حقها ، فقاومته بكل قسوة وعنف ، « على أنه يبدو أن هذا الاضطهاد أتى بنتيجة عكسية ؛ لأن روح الشجاعة والصبر والإيمان التي واجه بها شهداء المسيحية - في الشرق والغرب على السواء - مصيرهم ، أصبحت موضع إعجاب الكثيرين ، الذين أقبلوا هم الآخرون على اعتناق الديانة الجديدة ، وهكذا لم يحل القرن الثالث إلا وكانت المسيحية قد أصبحت قوة خطيرة ؛ لازدياد عدد أتباعها ازديادًا مطردًا .. ومهما يكن من أمر فإن المسيحية خرجت من جميع هذه المعارك ظافرة مرفوعة

الرأس ، لا سيما بعد أن أخذ الإمبراطور قسطنطين (٣٠٧ - ٣٣٧ م) بسياسة الأمر الواقع ، فأصدر مرسوم ميلان الشهير سنة (٣١٣ م) معترفًا بوضع الديانة المسيحية كإحدى الشرائع المصرَّح باعتناقها داخل الإمبراطورية ، بمعنى : أن يتمتع المسيحيون في الإمبراطورية بكافة الحقوق التي يتمتع بها غيرهم من أتباع الديانات الأخرى » [١] .

ثم أتبع الإمبراطور قسطنطين تلك الخطوة بإعلان اعتناقه هو نفسه الديانة

---

(١) المرجع السابق (ص ٣٨ ، ٣٩) .

المسيحية ، ثم توَّج ذلك بإنشاء كنيسة القيامة في فلسطين ، ثم أنشأت أمه الإمبراطورة هيلانة كنيسة المهد في بيت لحم .

ومن هنا بدأت المسيحية تنتشر في أوربا ، وبدأ رجالها يدعون إليها في حرية تامة ، حتى عمَّت معظم أرجاء القارة ، وكانت في البداية مسيحية واحدة تؤمن بالمسيح رسولًا من عند اللَّه جاء يدعو إلى توحيد اللَّه ، والوحي الذي أرسل إليه إنجيل واحد ، وليست أناجيل متعددة ، فلا يمكن أن يكون الوحي الذي جاء من عند اللَّه متعددًا ، وإنما هو كتاب واحد ، أما الأناجيل التي في أيدي المسيحيين الآن

فهي عبارة عن حياة المسيح كما رواها كل واحد من رواتها من نظره ، مع اختلاطها بالوحي المنزَّل على عيسى عليه السلام .

انقسام المسيحية :

كانت الكنيسة الأم للمسيحية هي كنيسة روما العاصمة العتيدة للإمبراطورية الرومانية [١] ، وهي التي تنسب إلى القديس بطرس ، أكبر حواري المسيح [٢] ، ثم لم يلبث أن ظهرت

---

(١) وفي الشرق أيضًا ظهرت كنائس كثيرة في فلسطين وأنطاكية والإسكندرية ... إلخ .

(٢) المرجع السابق (٥٢/١) .

كنيسة أخرى في مدينة القسطنطينية التي أسسها الإمبراطور قسطنطين الكبير نفسه (٣٢٥ - ٣٣١ م) ، وظهرت منافسًا خطيرًا لكنيسة روما في أول الأمر . وحاولت أن تكون ندًّا لها ، وبصفة خاصة منذ أن أصبحت عاصمة للقسم الشرقي من الإمبراطورية ، وطال الصراع بين الكنيستين إلى أن انتهى بالانقسام الخطير في الديانة المسيحية إلى مذهبين كاثوليكي وأرثوذكسي ، وتبنَّت كنيسة روما المذهب الكاثوليكي ، وتولَّت رعايته ونشره في غرب أوربا ، وتبنَّت كنيسة القسطنطينية المذهب الأرثوذكسي ورعايته

ونشره في شرق أوربا [1] .

الصراع بين الكنيسة والدولة :

منذ أن نشأت كنيسة روما ، أخذت طابع الدولة في بنيانها وهياكلها ، فكما تكونت الدولة من أجهزة ومؤسسات تكوناً هرميًّا يجلس الإمبراطور على قمته ، وهو صاحب السلطة العليا الذي لا تعقيب

---

(١) ثم لم يلبث أن ظهر مذهب جديد هو المذهب البروتستانتي على يد مارتن لوثر في ألمانيا (١٤٨٣ - ١٥٤٦ م) والذي أظهر اعتراضًا واحتجاجًا على احتكار جنسية روما لتفسير الإنجيل ، وقد انتشر هذا المذهب في ألمانيا وإنجلترا ، ثم في أمريكا فيما بعد ، وله الآن أتباع في كثير من البلاد .

على إرادته وقراراته ، وفي مرحلة لاحقة ظهر ما يُعرف بالحق الإلهي المقدس ، أي أن الإمبراطور يتلقَّى الحكم من اللَّه مباشرةً ، فهو ظل اللَّه في الأرض ، وليس من حق بشر أن يحاسبه أو حتى ينقده حتى ولو كان البابا نفسه .

في المقابل تكوَّنت الكنيسة - كما سبقت الإشارة - تكوين الدولة ، فكما كان الإمبراطور يجلس على قمة الهرم الإمبراطوري ، فقد كان البابا يجلس على قمة الهرم الكنسي ، وهو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في الشؤون الدينية ، فهو خليفة القديس بطرس الذي هو خليفة

المسيح ﷺ ، لدرجة أن البعض كان يضفي عليه صفة العصمة .

ولما ظهرت كنيسة القسطنطينية وعلا شأنها ، وبصفة خاصة عندما أصبحت عاصمة للدولة الرومانية الشرقية بعد سقوط روما سنة (٤٧٦م) العاصمة العتيدة للدولة الرومانية الكبرى تحت ضربات القبائل الجرمانية البربرية الزاحفة من شمال أوربا ، حذت حذو كنيسة روما ، وأخذ رأس الكنيسة الشرقية ينافس الإمبراطور في سلطانه ، وإن كان بدرجة أخف بكثير مما حدث في الغرب ، وأحيانًا كانت تخضع الكنيسة الشرقية لتبعية الإمبراطور .

وتاريخ أوربا في العصور الوسطى هو تاريخ الصراع بين الكنيسة والدولة في الغرب ، فلا الإمبراطور قنع بالسلطة الزقانية وترك للبابا شؤون الدين ، ولا البابا قنع بشؤون الدين وترك شؤون الدنيا للإمبراطور ، كما أوصى بذلك المسيح نفسه عليه السلام في قوله : « دعْ ما للَّه للَّه ، وما لقيصر لقيصر » [١] .

بدلًا من ذلك : « طفقت الكنيسة تعمل على تدعيم أركانها وتثبيت دعائمها كسلطة سياسية في أوربا الغربية بعد

(١) إنجيل متى ، الإصحاح الثاني والعشرون ، الفقرة (٢١) .

سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية في القرن الخامس الميلادي (٤٧٦م) ، وذلك عن طريق إظهار فكرة سمو الكنيسة والدولة ؛ حيث إن الأولى من وجهة النظر المسيحية تعالج شؤون الروح ، وغني عن البيان أن الروح أرفع شأنًا وأعلى منزلةً من الجسد ، فقد روَّجت الكنيسة لفكرة الثنائية في تكوين الإنسان في حياته ووجوده ، وأنه مكون من روح وجسد ، وأن لكل مصدر توجيهه ، فالروح مصدر توجيهها الكنيسة والدين ، والجسد مصدر توجيهه السلطة الزقانية ، والحكومة المدنية الدنيوية ، وكانت الكنيسة تنظر إلى حياة

الإنسان على أنها حياتان منفصلتان ، حياة دناءة ودنس ورجس ، وحياة آخرة وبر وبركة ، وأنه يجب أن ينقذ الإنسان نفسه من براثن هذه الدنيا عن طريق رسول اللّٰه ﷺ أو نُوَّابه في الأرض ، وهم رجال الكنيسة الرسولية الرومانية ، وبناء على تعاليم الخطيئة الموروثة ، فإنه لا خلاص لعالم الجسد في هذه الحياة الدنيا إلا باتباع أوامر الروح ، وبالمفهوم السياسي لا خضوع ولا التزام للسلطة الزمنية إلا إذا استمدَّت تعاليمها وأوامرها من السلطة الدينية ، أي أن طاعة الحكومة مشروطة باتباع تعاليم الدين ، وإذا تناقضت السلطتان ، الدينية

والزمنية فإن الطاعة تكون واجبة للّه أكثر من وجوبها لحكام البشر .

وهكذا أضحت الكنيسة تتعصب لهذا المعتقد وتعمل على ترويجه بين الأوساط الثقافية ، وتتحين الفرصة لتعلن قيام إمبراطورية مسيحية مقدَّسة ، حتى أُتيح لها ذلك ، عندما باركت شارلمان الفرنسي قيصرًا مقدسًا على الإمبراطورية الرومانية – وكان ذلك ليلة عيد الميلاد عام (٨٠٠م) – ، وبذلك استطاعت الكنيسة البابوية أن تدخل مبدأ جديداً في السياسية ؛ ألا وهو أن الملك أو الإمبراطور لا يعترف به إلا إذا قام البابا بنفسه بمسحه

وتعميده ، ووضع التاج على رأسه ، حتى يستوجب الطاعة والولاء من محكوميه ، ولقد أصدر البابا نقولًا الأول بيانًا قال فيه : « وإنَّ دين اللَّه أنشأ الكنيسة بأن جعل الرسول بطرس الأول أول رئيس لها ، وأن أساقفة روما ورثوا سلطان بطرس في تسلسل مستمر متصل ؛ ولذلك فإن البابا ممثل اللَّه على ظهر الأرض ، ويجب أن تكون له السيادة العليا والسلطان الأعظم على جميع المسيحيين حكامًا ومحكومين » .

وبهذا رأت الكنيسة أن لها سلطانًا على الملوك والأمراء ، فضلًا عن الرعية ، وأن استقرار ملك هؤلاء الحكام على قدر

ما يقدِّمون للكنيسة من طاعة وولاء ، والويل لمن أظهر التبرُّم على تعاليمها ، فقد أعلن البابا جريجوري السابع (١٠٧٣ - ١٠٨٥م) أن الكنيسة بوصفها نظامًا إلهيًّا خليقة بأن تكون صاحبة السلطة العالية ، ومن حق البابا وواجبه بصفته خليفة اللَّه في أرضه أن يخلع الملوك غير الصالحين ، وأن يؤيد أو يرفض اختيار البشر للحكام أو تنصيبهم حسب مقتضيات الأحوال ، ولعلَّ خير مثال على ذلك ما سجَّله التاريخ الأوربي عندما اختلف الإمبراطور هنري الرابع (١٠٥٦ - ١١٠٥م) مع البابا جريجوري السابع حول مسألة

التعيينات ، أو ما يسمَّى التقليد العلماني ، فحاول الإمبراطور أن يخلع البابا ، وردَّ البابا بخلع الإمبراطور وحَرَمه وأحلَّ أتباعه والأمراء من ولائهم له وألَّبهم عليه ، فعقد الأمراء مجمعًا قرروا فيه أنه إذا لم يحصل الإمبراطور على المغفرة لدى وصول البابا إلى ألمانيا ، فإنه سيفقد عرشه إلى الأبد ، فوجد الإمبراطور نفسه كالأجرب بين رعيته ، ولم يكن في وسعه أن ينتظر وصول البابا ، فضرب بكبريائه عرض الحائط ، واستجمع شجاعته وسافر مجتازًا جبال الألب والشتاء على أشده ، يبتغي المثول بين يدي البابا بمرتفعات كانوسا في

تسكانيا ، وظل واقفًا في الثلج في فناء القلعة ثلاثة أيام ، وهو في لباس الرهبان ، متدثرًا بالخيش حافي القدمين عاري الرأس ، يحمل عكازه ، مظهرًا كل علامات الندم وأمارات التوبة ، حتى تمكن من الظفر بالمغفرة والحصول على رضا البابا العظيم [١] ، إلى هذا الحد وصل طغيان الكنيسة .

---

(١) انظر : كتاب تيارات ومذاهب فكرية في الميزان ، تأليف الدكتور عيد ماجد عبد السلام ، ومحمد محمد محمد عيسى ، بدون ذكر مكان أو تاريخ الطبع ، (ص١١ - ١٤) . وانظر : أوربا العصور الوسطى ، مرجع سابق (١/٣٤٤) .

ولقد ابتدعت الكنيسة بدعة تعتبر من الصفحات المخزية في تاريخها باعتراف البابا الحالي [١] - يوحنا بولس الثاني - وهي قصة صكوك الغفران ، وقرارات الطرد والحِرمان ، فمن تَرْضَى عنه الكنيسة تصدر صكًّا بغفران ذنوبه في الآخرة ، ومن تغضب عليه وتصدر ضده قرار حرمان وطرد ، فالويل له في الدنيا والآخرة .

---

(١) في الثاني عشر من شهر مارس سنة (٢٠٠٠م) أصدر البابا بيانًا نشر في كل وسائل الإعلام في العالم كله أعلن فيه اعتذار الكنيسة الكاثوليكية عن المظالم التي ارتكبتها في حق الإنسانية على مدى يقرب من ألفي عام .

هذا بإيجاز شديد هو ما وصل إليه طغيان الكنيسة في المجالين الديني والسياسي ، أما طغيانها في مجال المال فحدِّث عنه ولا حرج .

طغيان الكنيسة المالي وموقفها من الإقطاع :

إن تاريخ أوربا في عصورها الوسطى المظلمة مُلطخ بصفحته من أسود صفحاته ، صفحة طافحة بالظلم والقسوة واللاإنسانية ، ذلك هو نظام الإقطاع ، حيث كان الأمير أو النبيل صاحب الإقطاعية يملكها بما عليها من حيوانات ومن عليها من بشر ، فيستطيع أن يبيعها أو يهبها بما عليها ومن عليها ، وقد عامل

الإقطاعيون عبيد الأرض أو الأقنان أقسى معاملة عرفها تاريخ البشرية ، وكان على الكنيسة وعلى رأسها البابا - ظل اللّٰه في الأرض وخليفة المسيح - أن تقف إلى جانب هؤلاء المظلومين والمضطهدين ، وتستخدم نفوذها الطاغي لدى الأمراء والنبلاء ليخففوا قبضتهم ، ويرحموا هؤلاء التعساء ، ولكن الكنيسة لم تسمع لها كلمة أبدًا في هذا المجال ، بل وقفت مع الإقطاع ضد أرقاء الأرض ، أي : مع الظلم ضد العدل ، ومع الذل والعبودية ضد الحرية وكرامة الإنسان ؛ وذلك لأنها هي نفسها أصبحت أكبر مالك للأراضي

في أوربا ، بل أسرفت في ذلك إسرافًا شديدًا ، فقد كانت تمتلك ثلث الأراضي الزراعية في إنجلترا ، وتفرض ضرائب باهظة على الباقي ، وكانت هي ورجالها يملكون نصف الأراضي الزراعية في ألمانيا [١] ، وكانت تعتبر تلك الأراضي أوقافًا لها بدعوى أنها تصرف عائداتها على بناء الكنائس والأديرة ، وإعانة سكانها ، وعلى تجهيز الحروب الصليبية ضد المسلمين ، وإن هذا ليمثل أشد التناقض بين دعوى المسيحية إلى الزهد والقناعة في الحياة الدنيا ، وبين جشع الكنيسة في اقتناء

(١) د . سعيد عاشور ، مرجع سابق (٣٣٧/١) .

الأراضي وسائر الأموال .. ونسيت أن المسيح عليه السلام نهى أتباعه عن اقتناء الذهب والفضة وحتى النحاس .

وإن من يقرأ الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى الكنائس المسيحية يرى أنها لم تنه عن شيء نهيًا عن اقتناء الثروة والمال ، والمتأمل في تلك الأناجيل يؤخذ بروعة الأمثلة التي ضربها المسيح عليه السلام للحياة الدنيا ومتاعها الزائل ، يقول لتلاميذه : « لا تقتنوا ذهبًا ولا فضةً ولا نحاسًا في مناطقكم » [1] ، وسيرته عليه السلام العملية

---

(١) إنجيل متى (١٠/١١) .

تؤيد مواعظه البليغة ، فقد كان هو وحواريوه ورعيته زاهدين ، ينظرون بعين المقت والازدراء إلى الكنوز المكدَّسة التي يحوزها بنو جنسهم من اليهود [1] .

هذه الصورة الورعة الزاهدة التي دعا إليها وعاشها السيد المسيح ﷺ كان على الكنيسة أن تحافظ عليها وتنميها وتدعو إليها بين الناس ، لا بالكلام والمواعظ

(١) العلمانية .. نشأتها ، وتطورها ، وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، تأليف سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، نشر دايكة للطباعة والنشر والتوزيع - مكة المكرمة سنة (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) ، (ص ١٣٨ ، ١٣٩) .

فقط ، بل بالسلوك العملي ، ولكن الذي حدث كان خلاف ذلك تمامًا ، فالكنيسة أصبحت أكبر ملاك الأراضي وأكبر السادة الإقطاعيين في أوربا ؛ لذلك وقفت مع الإقطاعيين ومطامعهم ضد عبيد الأرض .

موقف الكنيسة بين العلم والعلماء :

سبق أن ذكرنا أن اللّه تعالى وصف الإنجيل الذي أنزله على عيسى عليه السلام بأنه « هدًى ونور » ، وما دام الإنجيل جاء لهداية الناس وإنارة طريقهم ، فلا يمكن أن تكون المسيحية الحقَّة معادية للعلم بأي حال من الأحوال ؛ لأن معنى أن الإنجيل

هداية ونور وموعظة للمتقين أنه يدعوهم لما فيه خيرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وسعادتهم في الدنيا لا تكتمل إلا إذا عرفوا كيف يُسخِّرون ما خلق اللّه في السموات والأرض لمصلحتهم ، ولا يعرفون كيف يُسخِّرونه إلا إذا عرفوا أسراره وعرفوا القوانين التي تحكم الظواهر الكونية ، ومن ثم كان لابد لهم من العلم بكل مجالاته ، وهنا اصطدموا بالكنيسة التي وقفت موقفًا معاديًا وغريبًا من العلم والعلماء ، ولم تسمح لأحد أن يحاول حتى فهم الإنجيل إلا من خلالها وخلال

رجالها ، ولا أدري ما هو السند الذي اعتمدت عليه الكنيسة في تحريم البحث في علوم الجغرافيا والفلك والفيزياء والكيمياء والطب والهندسة ... إلخ ، وما الضرر في ذلك على الدين ؟ وكانت تفزع أشد الفزع إذا سمعت أن أحدًا بحث ، أو تكلم في أي من تلك العلوم ، فضلًا عن احتكارها المطلق لتفسير الإنجيل .

لكن العلم سينتصر في النهاية ، لكن بعد معاناة وأهوال من الكنيسة ورجالها ، وإن النظرية التي هزَّت الكنيسة لأول مرة هي نظرية كوبرنيق (ت١٥٤٣م)

الفلكية ، فقبلْ هذه النظرية كانت الكنيسة هي المصدر الوحيد للمعرفة ، وكانت فلسفتها تعتنق نظرية بطليموس التي تجعل الأرض مركز الكون ، وتقول : إن الأجرام السماوية كافة تدور حولها ، فلما ظهر كوبرنيق بنظريته القائلة بعكس ذلك – وأثبت أن الأرض متحركة وتدور حول الشمس – كان جديرًا بأن يقع في قبضة محاكم التفتيش ، ولم ينج من ذلك ؛ لأنه كان قسيسًا ، بل لأن المنية أدركته بعد طبع كتابه بقليل ، فلم تعط المحكمة فرصة لعقوبته ، إلا أن الكنيسة حرمت كتابه – حركات الأجرام السماوية – ومنعت

تداوله ، وقالت : أن ما فيه هو وساوس شيطانية مغايرة لروح الإنجيل ، وظنَّت - الكنيسة - أن أمر هذه النظرية قد انتهى ، ولكن رجلًا آخر هو جردانو برونو بعث النظرية بعد وفاة صاحبها ، فصبَّت عليه محكمة التفتيش جام غضبها ، وزجَّت به في السجن ست سنوات ، فلما أصرَّ على رأيه أحرقته سنة (١٦٠٠م) ، وذرَّت رماده في الهواء ، وجعلته عبرة لمن اعتبر ، وبعد موته ببضع سنوات توصل جاليلو إلى صنع المرقب (التلسكوب) فأيَّد تجريبيًا ما نادى به أسلافه نظريًّا ، فكان ذلك مبررًا للقبض عليه ومحاكمته ،

وقضى عليه سبعة من الكرادلة بالسجن مدة من الزمان ، وأمر بتلاوة مزامير الندم السبعة مرة كل أسبوع طوال ثلاث سنوات ، ولما خشي على حياته أن تنتهي بالطريقة التي انتهت بها حياة برونو ، أعلن ارتداده عن رأيه وهو راكع على قدميه أمام رئيس المحكمة قائلًا : « أنا جاليلو وقد بلغت السبعين من عمري سجين راكع أمام فخامتك ، والكتاب المقدس أمامي ألمسه بيدي ، أرفض وألعن وأحتقر القول الإلحادي الخاطئ بدوران الأرض » ، ثم تعهد أمام المحكمة بتبليغها عن كل ملحد يوسوس له الشيطان تأييد

هذا الزعم المضلل [١] .

هذا هو المناخ الذي خلقته الكنيسة الكاثوليكية في أوربا والذي أصبح تربة صالحة لنشوء العلمانية ورفض الكنيسة وكل ما تمثله ، ومن ثم انطلق العلم وحقَّق انتصارات باهرة .

نشأة العلمانية في أوربا :

في الصفحات السابقة رأينا إلى أي

---

(١) بتصرف من كتاب العلمانية .. نشأتها ، وتطورها لسفر الحوالي ، مرجع سابق (ص ١٥٠ ، ١٥١) ، وانظر كذلك : قصة النزاع بين الدين والفلسفة لتوفيق الطويل (ص ٢٠٥) .

مدى وصل سلطان بل طغيان الكنيسة الكاثوليكية في المجالين الديني والدنيوي معًا ، الأمر الذي أدَّى إلى احتدام الصراع بينها وبين أصحاب السلطة من الأمراء والملوك ، وأصحاب النفوذ والتطلع الفكري من العلماء والأدباء والفلاسفة .

وأصبحت القضية أو الأمر الذي يختلف الطرفان حوله هو : « إلى أي مدى يكون للكنيسة - أي لرجال الدين - سلطة أو سلطان ؟ ، أتمثِّل الكنيسة السلطة العليا والأخيرة في تتويج الملوك ، وإقامة الحكومات ، واختيار قادة الجيوش ،

وإعلان الحرب [1] ، وعقد السلام ، إلى غير ذلك من المهام التي تباشرها سلطة لا تعقيب عليها ؟ أم أن سلطتها وسلطانها يجب أن يقف عند حدود التوجيه الروحي ، أي : عند حد القلب والإيمان ، دون أن يتجاوزهما إلى الشؤون المدنية

---

(١) يعلم جميع المثقفين في الشرق والغرب أن الكنيسة الكاثوليكية في روما هي التي شنت الحروب الصليبية ضد المسلمين ، فمنذ صيحة البابا أوربان الثاني في كلير مونت بفرنسا سنة (١٠٩٥م) بدأت الحرب التي لم تنته حتى الآن ، والكل سمع الرئيس بوش وهو يقول : إنها حرب صليبية ، وذلك بعد أحداث (٢٠٠١/٩/١١م) .

والسياسية ، وعندئذٍ تُترك هذه الشؤون للأمراء والحكومات التى تقيمها الشعوب .

قبل أن يتبلور الصراع بين الكنيسة والحكومة في صورة الوضع الحاضر من الفصل بينهما ، كان الأمر في الشعوب الغربية قبل دخول المسيحية روما إلى الجيش والقانون ، وبعد أن دخلت تحول الأمر بالتدريج إلى أن أصبح كله لرجال الدين وإدارة الكنيسة ، ثم أعقبه الوضع الحاضر من الفصل بين الاثنين ، فالصراع كان بين طبقة وطبقة ، وسلطة وسلطة ، وعلى أساس من الفصل بين الكنيسة والحكومة حدَّد الغربيون معنى الدِّين ،

فأرادوا به التوجيه الروحي للأفراد ، كما حدَّدوا معنى الدولة والحكومة ، فقصدوا بها تنظيم العلاقات بين الأفراد [1] ، وهذا التمييز أو هذا التقسيم هو الذي أخذ اسم العلمانية ، وقد ظل هذا المفهوم للعلمانية بأنها لا تعدو مجرد الفصل بين سلطتي الدولة والكنيسة ، معمولًا به في أوربا منذ أواخر القرن السادس عشر ، واستمرت طيلة القرنين السابع عشر ، والثامن عشر ، وهذه الفترة تمثل العلمانية

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الأوربي للدكتور محمد البهي ، مكتبة وهبة - القاهرة ، بدون تاريخ (ص ٢٢٥ ، ٢٢٦) .

في مرحلتها المعتدلة ، ومن أبرز رجال هذه المرحلة في التفكير الأوربي توماس هويز (١٥٨٨ - ١٦٧٩م) ، وجون لوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤م) ، وسبينوزا (١٦٤٣ - ١٦٧٧ م) ، وليبنيز (١٦٤٦ - ١٧١٦م) ، وديفيد هيوم (١٧١١ - ١٧٧٦م) ، وجان جاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨م) ، فكل هؤلاء يرون أو يذهبون إلى أن الدولة هي مصدر كل شيء ؛ إذ هي المصدر الأوحد للقانون والأخلاق والدين ، وأن الحاكم أو السلطان في كل دولة هو رئيس الدولة

ورئيس الكنيسة [1] ، وأنه لا وجود - من وجهة نظرهم - لشيء اسمه كنيسة عالمية تخضع لها الحكومات ، كما كان الحال في العصور الوسطى ، بل إن الكنيسة هي التي يجب أن تكون خاضعة لسلطة الحكومة المدنية ، فكل هؤلاء الفلاسفة والمفكرين لم ينادوا بإلغاء الدين أو إبعاده نهائيًا عن حياة الناس ، بل كل ما نادوا به إبعاد الكنيسة عن السيطرة على السياسة وشؤون الحكم ، فديفيد هيوم مثلًا مع كونه هو نفسه كان ملحدًا ينكر وجود

(١) لازالت ملكة إنجلترا هي رئيسة الكنيسة البروتستانتية طبقًا لهذا المفهوم .

اللّه وخلود الروح ، إلا أنه كرجل من رجال التقاليد في إنجلترا يبقى على اعتبار الدين كإيمان فقط ، فالدين في نظره ليس علمًا ، وإنما هو إحساس فقط ، إحساس بوجود قوي فوق الإنسان [1].

وجون لوك يرى أنه مادامت الدولة قد أزاحت عنها وصاية الكنيسة يجب أن تنظر إلى كل اعتقاد ديني على أنه رأي شخصي ، وإلى كل رفقة في الدين على أنها ترابط حر يجب على الدولة حمايته والدفاع عنه مادام لا يهدِّد نظام الدولة

---

(١) تيارات ومذاهب فكرية في الميزان ، مرجع سابق (ص٢٢) .

بالإقلاق والتخريب » [١] ، هذا ما نادى به فلسفة العلمانية في مرحلتها الأولى – وهي الفصل بين الكنيسة والدولة – ولكن في المرحلة الثانية اختلف الوضع .

المرحلة الثانية من العلمانية :

فلاسفة العلمانية في مرحلتها الأولى اكتفوا بالفصل بين الكنيسة والدولة دون المساس بالدين، ولكن بعد أن انطلقت العقول من أغلالها التي كبلتها بها الكنيسة عدة قرون ، وحققت إنجازاتها العلمية الكبرى في كل العلوم في الفلك

---

(١) المرجع السابق (ص٢١) .

والطب والهندسة والفيزياء والكيمياء ... إلخ ، تغير مفهوم الأوربيين عن العلمانية ، وأخذ اتجاهًا آخر : « فبعد أن كانت العلمانية تمثل طول القرن السادس عشر والسابع عشر حركة تهدف إلى مجرد فصل بين الكنيسة والأهداف المدنية ، فإذا بها مع مطلع القرن التاسع عشر ... تصبح ثورة على الدين كله بوجه عام ، ودعوة صريحة تنادي بعدم حاجة الإنسان إلى وجود إله ، وبالتالي فلا ضرورة ولا أهمية للدين في النشاط الإنساني ، وهذه هي المرحلة الثانية للعلمانية في المجتمع الأوربي ، وتسمَّى بمرحلة العلمانية الثورية ، التي مثَّلها

فلاسفة ثوريون ، وهي المرحلة التي استهدفت فيها هذه العلمانية الثورية أو المتطرفة هدم الدِّين ... وهكذا خرجت العلمانية من حد الاعتدال الذي اتسمت به في المرحلة السابقة وجنحت بميول معتنقيها وأفكار روادها إلى غيابة التطرف والإلحاد والثورة على الدين » [1] .

وأبرز روَّاد هذه المدرسة الإلحادية فبورياخ الألماني (١٨٠٤ - ١٨٧٢م) ، وقد وصلت هذه المدرسة إلى قمة غلوها في عدائها للدين ، بل إنكاره كلية عند كارل

(١) انظر : افكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهي (ص ٣٣٣) .

ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣م) .

ولا شك أن هذا الموقف العنيف من الدِّين قد خلق جوًّا من الإباحية والتفسخ الأخلاقي وعبادة الملذات [١] ، مادام الإنسان لا يرى في الكون منطقة ثابتة ، بل كل الأشياء قابلة للتطور ، ولكن على الرغم من كل هذا الغلو العلماني الإلحادي فلم يستطع أن ينزع الدين من حياة الناس ، فالدين أمر فطري فطر اللّه الناس عليه ، بل حتى السياسة لم تستغن عن

(١) ظهرت تجليات وإفرازات هذا التفسخ الأخلاقي في الشذوذ الجنسي والزواج المثلي ، وغير ذلك من المباذل والمفاسد .

الدين ، ولن تستغني عن الدين ، والفصل التام بينهما يكاد يكون مستحيلًا ، يقول الزعيم الهندي الكبير المهاتما غاندي : «لكي يرى الإنسان روح الحق الكبرى التي تخلل كل شيء وجهًا لوجه ، يجب أن يكون في قدرته أن يحب أدنأ صور الخليقة كما يحب نفسه ، والرجل الذي يتطلع إلى ذلك لا قبل له بأن ينعزل عن أي ميدان من ميادين الحياة ، وهذا هو السبب الذي من أجله دفعني حبي للصدق والحق إلى ميدان السياسة ، وأستطيع أن أقول دون تردد ، وفي الوقت نفسه بكل ذل وخضوع : إن الذين

يقولون إن الدين لا علاقة له بالسياسة لا يعرفون معنى الدين »[1] ، فهذا الزعيم الكبير ذائع الصيت ، والسياسي النادر الوجود يرى أن طهارة النفس ضرورية لكل عمل إنساني ، وبصفة خاصة لرجل السياسة الذي يدير شؤون البلاد والعباد ، والنفس البشرية لا تتطهر إلا إذا عرفت اللّٰه تعالى حق المعرفة وآمنت به ، ومن هنا يمكن أن ندرك معنى قوله : « إن الذين

---

(١) انظر : حياة المهاتما غاندي وآراؤه كما رواها في كتاب بعنوان : « كل الناس أخوة » ، إعداد : كريشنا كريبلاني ، ترجمة : يونس شاهين ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة (ص ١٠٨) .

يقولون إن الدين لا علاقة له بالسياسة لا يعرفون معنى الدين » .

والدليل على ذلك : أنه حتى في الموطن الأصلي للعلمانية في مرحلتيها الأولى والثانية – إنجلترا وألمانيا وفرنسا – لم يستطع أحد أن ينحي الدين عن الحياة ، « فالتاج البريطاني لم يزل حاميًا للبروتستانتية – والملكة هي رئيسة الكنيسة فيها – وفرنسا لم تزل حامية للكثلكة في صورة علمية ، والدولة في إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا – رغم إعلان أنها علمانية – تساعد المدارس الدينية من ضرائبها الخاصة التي تجبيها من

المواطنين – مع علمها باستقلال هذه المدارس في برامجها التعليمية » [١] .

ولا يستطيع أحد أن يقول : أن نفوذ الكنيسة الكاثوليكية قد تلاشى في أوربا ، بل كانت كلمة البابا ولاتزال تسمع بعناية واحترام ، لا في الشؤون الدينية فحسب ، بل حتى في الشؤون السياسية ، بل إن البابا الحالي يعد من أنشط البابوات في التدخل في القضايا السياسية ، ولا ينكر أحد دوره الخطير في تقويض العالم

---

(١) تيارات ومذاهب فكرية في الميزان ، مرجع سابق (ص٢٨) .

الشيوعي بأكمله ، وذلك بتضامنه مع حركة التضامن البولندية - موطنه الأصلي - التي هبَّ فيها العمال هبَّتهم الكبرى ضد النظرية الشيوعية وضد النظام الشيوعي بكامله ، وكان هذا عجيبًا أن يثور العمال ضد نظرية ونظام ادعى أنه قام من أجلهم ، أليست هي دولة البروليتاريا ؟ ولكن لما كانت النظرية والنظام ضد الفطرة البشرية ، فكان لابد من أن تنهار ، وجاء أول معول من بولندا مقر حلف وارسو - الذي انهار مع انهيار الشيوعية - وقد وقف البابا مع هذه الحركة ، بل إن البعض يعتبره صاحب الدور الأكبر في

هدم البنيان الشيوعي كله، أليس هذا دليلًا ناصعًا على تأثير الدين في حياة الإنسان ؟ .

وبعد أن عرفنا الظروف التاريخية التي نشأت فيها العلمانية في أوربا ، في الصفحات التالية سنتعرف على ظروف وفُودها إلى العالم الإسلامي ، وموقف الفكر الإسلامي منها .

الإسلام والدولة

الإسلام دين ودولة ، أو بمعنى آخر الإسلام عقيدة تنبثق منها شريعة يقوم على هذه الشريعة نظام سياسي اقتصادي

اجتماعي .. إلخ تلك حقيقة لا ينكرها إلا جاحد مكابر يجهل حقيقة الإسلام ، أو متعصب أعمى التعصب و الحقد على الإسلام بصرة وبصيرته .

والقرآن الكريم كما حمَّل النبي ﷺ مسؤولية تبليغ الرسالة إلى الناس في قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [المائدة : ٦٧] فقد حمَّله مسؤولية الحكم بين الناس طبقًا لمبادئ وقواعد هذه الرسالة يقول تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ

وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٥]، ويقول تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩]، ولا يكون المسلمون مؤمنين حقًّا إلا إذا حكَّموا الرسول واحتكموا إليه في كل أمورهم، يقول تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

وبناءً على هذا فقد كانت مهمة تأسيس دولة إسلامية يقوم نظامها السياسي والاقتصادي والاجتماعي على أساس الشريعة الإسلامية مهمة أساسية من مهمات الرسول ﷺ ، وقد اضطلع بها وكان أول شيء صنعه بعد هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة مباشرة أن أسَّس الدولة الإسلامية .

دور المسجد في إدارة الدولة :

وكان مسجده الشريف الذى وضع أساسه فور وصوله إلى المدينة هو مركز دولته ومقر حكومته ، فيه يتلقَّى الوحي ويبلغه للناس ، ويقيم الصلوات ، ويقضي

ويحكم في المنازعات ، ويعقد الألوية والرايات لقادة الحملات العسكرية ، ويعقد عهود الولاية للعمال والولاة على الولايات التي كانت تدخل تحت حكم الدولة الإسلامية ، ومنه كان يرسل رسله وسفراءه ومبعوثيه وحاملي كتبه ورسائله إلى الأباطرة والملوك والأمراء المعاصرين يدعوهم فيها إلى الإسلام ، وفيه كان يستقبل الوفود الأجنبية التي كانت تأتيه في المناسبات المختلفة ، وفيه كان يناقش مشكلات المجتمع الإسلامي ونظام وأجهزة الدولة الإدارية مع أصحابه بروح المعلم العظيم الذي يعدُّهم لقيادة الدولة

وتحمل المسؤولية بعد رحيله عليه الصلاة والسلام ، وباختصار شديد فمن هذا المسجد البسيط المتواضع في بنائه والذي ظلَّ مقر الحكومة الإسلامية [١] طوال عصر الرسول ﷺ وعهود معظم خلفائه الراشدين ، فمن هذا المسجد خرجت أعظم القرارات التي غيَّرت وجه التاريخ

---

(١) استكملت دولة الإسلام كل مقومات الدولة ومؤسساتها في عهد النبي ﷺ ، وكان الصحابة هم هيئة حكومته كل له اختصاص معين . راجع في ذلك بحث بعنوان : « الإدارة في عهد النبي » بقلم د . عبد الشافي عبد اللطيف منشور في المجلة المصرية للدراسات التاريخية (١٩٨٤م) .

وبدّلت مصائر العالم المعاصر ونشرت فيه العدل والرحمة والمساواة والأمن والأمان .

معاهدة المدينة :

عندما هاجر النبي ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة وأسس الدولة على النحو الذي أشرنا إليه فيما سبق - بإيجاز شديد - كان بها عدد من قبائل اليهود ، بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، وقد عرض الرسول الإسلام فأبَوا مع أنهم يعرفون صدق النبي وصدق رسالته كما يعرفون أبناءهم ، كما أخبر بذلك القرآن الكريم في أكثر من آيه ، ومع أن اللّه أمرهم أن يؤمنوا

بهذا النبي الكريم عندما يبعث ويدعوهم إلى الإسلام ، حيث قال تعالى لهم : ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة : ٤٠- ٤٢] إلى غير ذلك من الآيات التي تفوق الحصر في هذا المجال ، إلا أنهم ركبوا رؤوسهم ولزموا العناد ورفضوا اعتناق الإسلام فلم يُكرهُم الرسول ﷺ ؛ لأن القاعدة الراسخة في ذلك أنه : ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

رفضوا الإسلام ولكنهم الآن أصبحوا مواطنين في دولة إسلامية أقامها الرسول ومن حقهم أن يعيشوا فيها كبقية المواطنين - مسلمين وغير مسلمين متمتعين بكامل حقوقهم المدنية والدينية قبل كل شيء ، فكتب بينه وبينهم معاهدة أو صحيفة وأحيانًا تسمَّى الكتاب ، تلك الصحيفة التي يعتبرها كثير من الباحثين في القانون الدستوري وثيقة دستورية أو عقد تأسيس نظام الدولة الإسلامية . فقد نظمت العلاقات وحددت الحقوق والواجبات بين سكان المدينة جميعًا باعتبارهم مواطنين في الدولة الجديدة مع

اختلافهم في العقيدة ؛ حيث اعتبرت اليهود طرفًا فيها ، ونصَّت في مادة صريحة على الاعتراف لهم بدينهم فقالت : « لليهود دينهم وللمسلمين دينهم » وكَفَلت لهم حرية إقامة شعائرهم الدينية والمحافظة على ممتلكاتهم ، وهذا رد على الذين يدَّعون ويروِّجون أن الإسلام لا يعترف بالآخر فكيف ذلك والرسول نفسه عليه الصلاة والسلام يعترف بالآخر اليهودي وبكافة حقوقه كمواطن ، أليس هذا تحقيقًا عمليًا لشعار الدين للَّه والوطن للجميع الذي يطنطن به البعض الآن ويدعي أنه فتح في عالم السياسة

وحكم الدول .

على كل حال ليس المقام مقام إطالة وشرح مستفيضين في تفاصيل هذه المعاهدة التي تبلغ موادها نحوًا من خمسين مادة وليطلع من يريد المزيد عليها في كتب السيرة والسنة (١) .

وإنما هدفنا هنا أن نؤكد على أمر واحد

(١) راجع سيرة ابن هشام (١١٩/١) ، ومحمد عبد الله مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (ص٤١) وما بعدها ، وقد خضعت هذه المعاهدة لعديد من الدراسات ومن أهمها : دراسة الأستاذ عون الشريف قاسم في كتاب « دبلوماسية محمد » (ص٢٣) وما بعدها . نشر جامعة الخرطوم .

وهو أنها كانت إعلانًا بميلاد دولة الإسلام بقيادة النبي ﷺ ، وباعتراف جميع أطرافها ، بمن فيهم اليهود ، فقد جاء ذلك الاعتراف في نص صريح في صلب المعاهدة كالآتي : « وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فمردُّه إلى اللّٰه وإلى محمد رسوله ﷺ » ، وعلى مدى الأعوام العشرة التي أقامها الرسول ﷺ في المدينة المنورة ، استكملت الدولة الإسلامية كل مقوماتها وأجهزتها وأصبحت لها جيشها وشرطتها وجهاز إعلامها ومخابراتها - كان المسلمون يسمُّونهم عيون الرسول -

وبقية أجهزتها الإدارية ، وهناك مصادر قديمة ومراجع حديثة تحدثت باستفاضة عن نظام الحكومة النبوية ننوّه ببعضها لمن يريد الاطلاع على هذا الجانب الذي يجهله كثير من الناس ، حتى المثقفين المسلمين ، من أهم المصادر القديمة كتاب بعنوان : « تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحِرف والصنائع والعمالات الشرعية » تأليف أبي الحسن علي بن محمد المعروف بالخزاعي التلمساني ت ٧٨٩ هـ [1]. ومن

---

(١) نشرة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة سنة (١٤٠١هـ - ١٩٨٠م) . ويقع في (٨٨٠) صفحة .

أهم المراجع الحديثة في الموضوع كتاب بعنوان : « نظام الحكومة النبوية المسمّى بالتراتيب الإدارية » تأليف الشيخ عبد الحي الكتاني [١] .

الفرق بين الإسلام والمسيحية من حيث قيام دولة :

ذكرنا من قبل أن رسالة المسيح عليه السلام جاءت لبني إسرائيل لإصلاح الديانة اليهودية ، وتخليصها من البدع والخرافات والأساطير التي أضافها إليها

---

(١) نشر دار الكتاب العربي – بيروت بدون تاريخ ويقع في مجلدين عدد صفحاتهما أكثر من ألف صفحة .

اليهود ، والتي أحالتها إلى طقوس جامدة وحرَّفوها كما أخبر القرآن الكريم عن ذلك في أكثر من آية ، يقول تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة : ١٣] .

من أجل ذلك جاء المسيح عليه السلام برسالته ليصحح الديانة اليهودية ويعيد لها صفائها الأول ، وروي عنه أنه قال : « ما جئت لأنقض الناموس بل لأصححه » ، وقال : جئت لأهدي خُراف بني إسرائيل الضالة .

أما طبيعة الإسلام فلم تكن كذلك ، أي : لم يأت لإجراء تصحيح جزئي في

ديانة سابقة ، وإنما جاء للقضاء على كل انحراف عقيدي أو أخلاقي في شبه جزيرة العرب ، أو في مكان آخر من العالم يصل إليه ؛ ليقيم عقيدة التوحيد الخالص للّه تعالى سبحانه وحده دون سواه .

وهناك فرق آخر بين الإسلام والمسيحية من حيث النشأة المكانية والزمانية لكل من الديانتين .

فالمسيحية كما هو معروف ، وكما أشرنا سابقًا ، نشأت في فلسطين حيث ولد السيد المسيح عليه السلام ، وفلسطين يومئذٍ كانت مستعمرة رومانية ، والدولة الرومانية كانت في ذلك الوقت أكبر

دولة في العالم وكانت أملاكها تمتد من الجزر البريطانية في غرب أوربا إلى نهر الفرات في الشرق ، وكان لها نظامها الاجتماعي والديني والقانون الخاص بها – أشرنا إلى ذلك فيما سبق – والقانون الروماني هو أعظم ما يفخر به الرومان ، بل إن القوانين الرومانية تُعد ينبوعًا لمعظم الدساتير والقوانين في أوربا ، بل وفي كثير من بلاد العالم خارج أوربا حتى الوقت الحاضر ؛ لذلك لم تكن الإمبراطورية الرومانية لتسمح للسيد المسيح عليه السلام أن ينازعها سلطانها وأن يقيم دولة مسيحية في ولاية من ولاياتها . فضلًا عن أنها

كانت تضطهد المسيحية أشد الاضطهاد – كما سبق وأن أشرنا – وكان المسيح ﷺ مدركًا تمامًا لهذا الوضع ، فلم يسع لإقامة دولة مسيحية في ولاية رومانية على أساس الديانة المسيحية ، وروت عنه الأناجيل المداولة بين المسيحيين قوله : « دع ما للَّه للَّه وما لقيصر لقيصر » [1] ، وروي عنه كذلك قوله : « مملكتي ليست في هذا العالم » وعلى هذا قصر رسالته على العمل في الميدان الروحي ، وقد نجحت رسالته في

(١) إنجيل متى ، الإصحاح (٢٢) الفقرة (٢١) .

ذلك الميدان قبل أن ينحرف بها بعض أتباعها كما انحرف اليهود بديانتهم من قبل ، وهذه مواضيع يطول شرحها وليس هذا مكانها .

وكل ما نريد أن نوضحه ونؤكده هنا أن النشأة المكانية والزمانية للإسلام اختلفت عنها في المسيحية ، الأمر الذي ساعد الرسول محمد ﷺ أن يقيم دولته دون تدخل أو ضغط من أية دولة أجنبية ؛ لأن إقليم الحجاز في شبه جزيرة العرب الذي ولد وبعث فيه محمد ﷺ كان مستقلًا تمامًا عن أي نفوذ أجنبي ، فلا سلطان عليه لإمبراطور ولا ملك ، هذا من

ناحية ، ومن ناحية أخرى لم يكن في هذا الإقليم دولة ولا نظام ولا قوانين كتلك التي كانت سائدة في فلسطين عندما ولد وبعث المسيح عليه السلام .

وكانت تلك فرصة طيبة ومواتية للرسول ﷺ ليقيم الدولة والمجتمع والنظام الذي يريده على أساس مبادئ وقواعد الشريعة الإسلامية ، دون تدخل من أية قوة خارجية أو إعاقة من أي نظام داخلي .

الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول :

ظل الرسول ﷺ بعد أن أسس الدولة

الإسلامية في المدينة المنورة يؤدي المهمتين الرئيسيتين اللتين اضطلع بهما ، المهمة الأولى : تلقي الوحي من اللّٰه وتبليغه للناس . والثانية : قيادة الأمة الإسلامية وتنظيم شؤونها ورعاية مصالحها ورسم مستقبلها ووضع قواعد علاقاتها الخارجية بغيرها من دول العالم [١] .

ولما التحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى

---

(١) راجع في ذلك بحثًا بعنوان : « دولة الإسلام وعلاقاتها الدولية في عهد النبي ﷺ » من تأليف الدكتور عبد الشافي محمد عبد اللطيف منشور في مجلة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام أحمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) .

انتهت مهمته الأولى ؛ لأنه خاتم الأنبياء ولا نبي بعده .

وبقيت المهمة الثانية وهي قيادة الأمة وزعامة الدولة الإسلامية شاغرة ، وكان لابد من شُغلها، ولم يكن ممكنًا ولا منتظرًا من الصحابة رضوان الله عليهم أن يُهملوا هذا الأمر المهم والخطير؛ بل أدركوا من أول لحظة بعد وفاة النبي ﷺ ضرورة أن يختاروا واحدًا منهم – وعلى وجه السرعة – ليخلف النبي في قيادة الأمة والاضطلاع بأعباء الدولة ومسؤولية الحكم ولقد أعطوا هذا الأمر ما يستحق من الاهتمام وانتهوا من ترشيح

أبي بكر الصديق لخلافة النبي ، ثم مبايعته ليتولى مسؤولية الحكم وكرهوا أن يبيتوا ليلة واحدة بعد وفاة النبي بدون إمام [١] .

هل الحكومة الإسلامية حكومة دينية ؟ :

يتصور كثيرون ممن تصدُّوا للكلام عن الدولة الإسلامية ونظام الحكم في الإسلام بصفة عامة أن الحكومة الإسلامية حكومة

(١) راجع في ذلك كتاب « الإسلام والخلافة في العصر الحديث للدكتور ضياء الدين الريس » (ص٢٠٥) وما بعدها ، ثم راجع كتاب « الأحكام السلطانية للماوردي » وما فيه عن آراء العلماء والفقهاء في وجوب تنصيب إمام للمسلمين يرعى مصالحهم ويدير شؤونهم .

دينية ، أي : أن رأس الدولة الإسلامية له سلطة دينية مادام يحكم دولة إسلامية ، وهذا ما يسبِّب لهم الفزع من تعبير « حكومة دينية » ؛ لأن هذا المصطلح ارتبط في الفكر السياسي الأوربي بحكومة دينية يستمد الحاكم فيها سلطته من اللّٰه تعالى طبقًا لنظرية الحق الإلهي المقدَّس في الحكم ، ومن هنا فهو معصوم وليس من حق أحد أن يعترض عليه أو يعارضه فإرادته هي القانون الواجب الطاعة ، هذا التفكير بعيد تمامًا عن المفهوم الإسلامي للحكم فالحكومة الإسلامية حكومة مدنية يستمد الحاكم فيها سلطاته من الأمة عن

طريق البيعة التي يمكن أن تتطور إلى انتخاب مباشر أو على درجات حسبما تقتضي ظروف كل بلد وتطور أوضاعه ، وبصرف النظر عن المسمَّى أو الوصف الذي يُوصف به الحاكم المسلم ، خليفة أو أمير مؤمنين أو سلطان أو رئيس جمهورية ... إلخ .

المهم أن تختاره الأمة اختيارًا حرًا مباشرًا ، وأن تكون هي التي تراقبه وتحاسبه ، بل وتعزله إذا أخطأ خطأً يستوجب العزل .

وهكذا كان اختيار الخلفاء الراشدين ومن بعدهم . فالنبي ﷺ لم يؤثر عنه قول

صحيح صريح يعتد به بأنه عيَّن أو أوصى أو حتى رشح شخصًا ليتولى الخلافة ويقود الأمة الإسلامية بعده [١] . وإنما ترك الأمر لأصحابه يختارون بأنفسهم من يرونه أهلًا لهذا المنصب الخطير ، وقد اجتهدوا واختاروا أبا بكر الصديق - كما سبقت الإشارة - ثم إن النبي ﷺ لم يحدِّد لهم حتى الطريقة التي يختارون بها قائدهم وإمامهم ولعله لم يشأ أن يقيدهم بقالب للاختيار إن صلح لزمانهم فقد لا يصلح لمن يأتي بعدهم . وكما أشرنا سابقًا إذا

(١) راجع البداية والنهاية لابن كثير (٢٥١/٥) .

كانت البيعة بالمصافحة باليد تلائم زمانهم والظرف الذي كانوا يعيشونه فإن هذا الأسلوب قد لا يكون ملائمًا في قابل الأيام، ويلجأ الناس إلى طرق متعددة بشرط الالتزام بروح الشورى، وقد تكون الديمقراطية التي يرى بعض الناس أنها أنسب الوسائل والطرق الآن لاختيار الحاكم هي الأسلوب الذي يرتضيه المسلمون .

والإسلام الصحيح لا يرى بأسًا في ذلك أبدًا .

وتوجد دول إسلامية في وقتنا الحاضر يجري اختيار الرؤساء فيها بالانتخاب الحرّ

المباشر ، على النمط الديمقراطي الغربي ، ومنها جمهورية إيران الإسلامية ، يقول الدكتور محمد عبد الجبار : « وفي إيران يقدِّم السيد محمد خاتمي رئيس الجمهورية **فهمًا متقدمًا للديمقراطية يمكن تفكيك عناصره إلى ما يلي :**

١- إن تغييرات كثيرة عبر تاريخها - أي : الديمقراطية - قد طرأت عليها ، حتى غدت في عصرنا هذا الطريق الوحيد للوصول إلى الحكم ، وبهذا يتجاوز السيد خاتمي التعاريف الكلاسيكية ويمسك بزمام المفهوم المعاصر لها ... الديمقراطية تعني : أن الحكومة للشعب وفي خدمته ومسؤولة

أمام الناس وتجاههم ، وهذا يستلزم حرية التفكير ، وحرية التعبير ، وحرية الاجتماع ، وغير ذلك من النشاطات .

الحرية السياسية تعني : أن الناس هم مصدر شرعية الحكومة ، وأن لهؤلاء الناس الحكم النهائي عليها . هذه هي الديمقراطية المطروحة ، الدولة تنبع من الشعب ، والحكم والبت بأمرها يعود إلى الناس وإرادتهم ... وعندما نقول : إن الديمقراطية هي السبيل الوحيد لاستقرار النظام السياسي فعلى من يرفض أن يأتي ببديل لها .

٢ - إن للديمقراطية جذورًا موغلة في

التاريخ ، واليوم نحن نعرف هذه الجذور بفضل البحوث التي أجراها العديد من المفكرين المحايدين .

٣ – ولعلَّ العناصر الأكثر أهمية في فكرة خاتمي عن الديمقراطية هي إدراكه أنها آلية للحكم وليست عقيدة أو مذهبًا وهذا ما يقول به الباحثون في الديمقراطية المعاصرة .

٤ – وإذا كانت الديمقراطية آلية فهي إذن ليست معروضة في مقابل الإسلام وإنما في مقابل الديكتاتورية ، فنحن لسنا أمام خيارين إما الإسلام أو الديمقراطية ، إنما بين الديمقراطية والديكتاتورية ...

والذين يرفضون الديمقراطية سبيلًا - إلى الحكم - فإنهم يدعون إلى الديكتاتورية والقهر ، ولا أحسب أن عاقلًا ينصحنا بترك الديمقراطية للبحث عن بديل آخر .

٥- وفي العمق من التحليل يثبت خاتمي حقيقة أن الديمقراطية لم تعد مرتبطة ارتباطًا عضويًا ولا سياسيًا بالعلمانية والرأسمالية فلا يشترط لكي تكون ديمقراطيًا أن تكون علمانيًا أو رأسماليًا ، بل من الممكن أن تكون علمانيًا أو رسماليًا ولكن ديكتاتوريًا أيضًا .

٦- وإذا كانت هذه هي الديمقراطية فإن خاتمي يملك المؤهلات الفكرية

والعلمية والإسلامية التي تجعله يصل إلى استنتاجه الأخير الحاسم من أن الديمقراطية ليست متناقضة مع الإسلام ، حيث يقول : « الديمقراطية عندي لا تتنافى طريقًا أو سبيلًا مع الإسلام ولا تتعارض معه »[1] ، والمثل الذي تقدمه إيران على لسان رئيس جمهوريتها الإسلامية السيد محمد خاتمي ليس فريدًا ، بل هناك دول

---

(١) هذا ملخص كلام خاتمي كما عرضه الدكتور محمد عبد الجبار في كتاب « الديمقراطية بين العلمانية والإسلام » (ص١٥٧- ١٦٠) وهو مقتبس من كتاب خاتمي « مطالعات في الدين والسياسة والعصر » .

إسلامية كثيرة أخذت بالديمقراطية كآلية للوصول إلى الحكم ، ومنها تركيا فمن المعروف أن حزب الرفاه بقيادة رجب أردوغان وصل إلى الحكم عن طريق الانتخاب الحر الذي جرى تحت عيون العالم كله وعلى نمط الديمقراطية الغربية .

وفي جمهورية مصر العربية التي ينص دستورها على أن دينها الرسمي هو الإسلام ، والشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع : يتم أيضًا اختيار رئيس جمهوريتها عن طريق ترشيح مجلس الشعب له ، ثم يطرح اسمه على الشعب في استفتاء عام ، ولا يستطيع أحد أن

يقول : إن هذه الطريقة تخالف الإسلام وإن كان البعض يطالب أن تنتقل من مرحلة الاستفتاء إلى مرحلة الانتخاب ليتقدَّم للمنصب أكثر من مُرشِّح وهذه الدعوى ليست مرفوضة بل يجري التفكير في تعديل الدستور المصري لتحقيقها .
ونختم هذه النقطة بقول أحد العلماء : « لا يوجد عندنا في الشرع أي نص شرعي لا في الكتاب ولا في السنة ولا في الفقه العام يمنع من اعتماد الديمقراطية وأساليبها ومؤسساتها في هذا الحقل ، أي : حقل اختيار الحاكم المسلم »[1] .

(١) المرجع السابق (ص ١٦١) .

نأتي إلى أمر مهم غاية الأهمية وذي صلة وثيقة بموضوع الديمقراطية ، وهو أمر التشريع وسن القوانين ، فقد يتصور البعض أنه ما دامت الدولة إسلامية فلابد أن تكون كل تشريعاتها وقوانينها نابعة من الشريعة الإسلامية ، وهذا حق ، وهو ما ينص عليه الدستور المصري - كما أشرنا - ولكن كما يقول علماء أصول الفقه : النصوص متناهية ومصالح الناس ليست متناهية ، أي : المصالح متجددة وتطرأ كل يوم العديد من المشكلات التي تتطلب حلولًا . فما العمل لمواجهة هذه المشكلات ؟

يقول أحد علماء المسلمين وهو الشيخ محمد مهدي شمس الدين : في الحقل التشريعي « التشريع كما نعلم ينقسم إلى قسمين كبيرين ، هما : الفقه الخاص : وهذا ليس من شأن المجتمع ؛ لأنه فقه الأفراد ، ويمكن أن يمارس في حال وجود دولة ونظام إسلامي وفي حال عدم وجودهما ، والفقه العام : الذي يختص بتنظيم المجتمع وفيه ما هو منصوص عليه ويدخل في ثوابت الشريعة ، وهذا لا يمكن لبشر أن يشرعوا فيه كما أن فيه مساحات ما يمكن أن نسميه مساحات الفراغ - وهذا ما يسميه بعض الفقهاء المصالح

المرسلة [1] - وتشمل هذه الأخيرة كل الجانب التنظيمي، وكل الجانب الإداري ومعظم الجانب الاقتصادي، وكل هذه الحقوق لا تدخل في باب الأحكام الشرعية إلا بمقدار مراعاتها للمبادئ العليا في الشريعة، أن المساحة المغلقة عن المشرعين أي: عن المجالس التمثيلية في الديمقراطية أو الشورى في مساحة

(١) المصالح المرسلة يقصد بها فقهاء الإسلام الأمور والحوادث التي تطرأ في دنيا الناس ولا يوجد لها نص صريح في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا في إجماع الأمة. هنا على الفقهاء أن يجتهدوا في إيجاد حلول لها في إطار المبادئ الأساسية للشريعة الإسلامية.

محدودة ، وما بقي مما يتصل بالتدبير العام هو شأن البشر وإدراكهم لمصالحهم » [1] .

في ضوء حديث الرسول ﷺ : « **أنتم أعلم بأمور دنياكم** » .

اجتهادات الرسول ﷺ في الميدان الإداري والتنظيمي :

أشرنا فيما سبق إلى أن الرسول ﷺ كان في حياته يقوم بوظيفتين أو يؤدي مهمتين :

الأولى : رسول يتلقَّى الوحي من اللَّه

(١) المرجع السابق (ص ١٦١ ، ١٦٢) نقلًا عن الشيخ محمد مهدي شمس الدين في حوار حول العلمانية والشورى والديمقراطية ... إلخ ، نشر الحوار العدد (٢٤) خريف (١٩٩٤م) .

تعالى ويبلغه للناس ؛ امتثالًا لأمر اللَّه تعالى له في قوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧] فهو هنا بشر يُوحى إليه ، وهو معصوم في التبليغ ولا ينطق عن الهوى ، فكل ما يتلقّاه من اللَّه تعالى يجب أن يبلّغه للناس كما هو دون زيادة أو نقصان ، وقد أدى ذلك أداءً كاملًا غير منقوص بشهادة الحق ﷻ الذي قال عنه : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ [الحاقة : ٤٤- ٤٦] .

أما المهمة الثانية التي كان يقوم بها في حياته : فهي قيادة الدولة وزعامة الأمة وتدبير شؤونها ، وهو هنا بشر يجتهد ويستشير فيما لا يوحى إليه في أي شأن من شؤون الدولة . ففي شؤون الحرب والسياسة والإدارة والعلاقات الدولية كان يستشير ويأخذ برأي مستشاريه في كثير من الأحوال ، والوقائع التي استشار فيها في هذا المجال أكثر من الحصر ؛ ولذلك روي عن أبي هريرة ﷺ أنه قال : « ما رأيت أحدًا أكثر مشورة لأصحابه من رسول اللّه ﷺ » ، وكيف لا يستشيرهم

وقد أمره اللّه بذلك فقال تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فقد شاور في بدر في مكان عسكرة الجيش الذي يصلح للقتال ، وأشار عليه الحباب بن المنذر بالرأي الصواب ففعله وشكره على ذلك ، بل قال له : « أشرت بالرأي » [١] أي : بالرأي الصواب ، واستشار أصحابه في شأن الأسرى ، واستشار في أُحد والأحزاب ... إلخ » .

وكان يستشير أصحابه في من يصلح لتولي الإمارة وتتوفر فيه شروطها فعندما

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢/٢٦٠) .

جاءه وفد ثقيف - أهل الطائف - وأسلموا أراد ان يبعث لهم أميرًا فشاور أصحابه فأشار عليه أبو بكر الصديق ﷺ بعثمان ابن أبي العاص الثقفي ، وقال له « يا رسول اللّٰه إني رأيت هذا الغلام فيهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعليم القرآن » فعمل رسول اللّٰه ﷺ بمشورة أبي بكر وولاه على الطائف [١] .

بل إن الرسول ﷺ عمل بنصيحة أصحابه فيما يتعلق بالعلاقات الدولية والتقاليد المرعية في مخاطبة الملوك فعندما

(١) تاريخ الطبري (٣/٩٩) .

أراد أن يرسل رسائل إلى الأباطرة والملوك والأمراء المعاصرين ، ومنهم : كسرى أبرويز الثاني إمبراطور الفرس ، وهرقل إمبراطور الروم ، قال له الصحابة يا رسول اللّه « إن الأعاجم لا يقبلون كتابًا إلا إذا كان مختومًا » – ويقصدون بالأعاجم كل من ليس بعربي فهي ليست كلمة تحقير – أي : موثقًا فاتخذ على الفور خاتمًا من فضة كان نقشه « محمد رسول اللّه ﷺ » [1].

وباختصار فاجتهادات الرسول ﷺ في

---

(١) تخريج الدلالات السمعية مصدر سبق ذكره (ص١٨٠) .

شؤون الدولة العسكرية والإدارية لا حصر لها ، بل كان أحيانًا يصدر قرارات ثم يعدل عنها . فعندما وصل مكة المكرمة فاتحًا في شهر رمضان من العام الثامن الهجري وكان حريصًا على أن يدخلها بدون قتال وقد تحقق له ما أراد فدخلها بدون قتال يذكر . وعندما دخلها استدعى أهلها جمعيًا وقال لهم : « **ما تظنون أني فاعل بكم؟** » يعني : ماذا أصنع معكم بعد أكثر من عشرين سنة من أعمالكم السيئة وطردكم إياي وأصحابي من بلدنا والتآمر على حياتي وقتالي سنين عديدة ، فقالوا : « خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم »

فقال : « **اذهبوا فأنتم الطلقاء** » وعفى عنهم ، لكنه استثنى من هذا العفو بضعة رجال وبضع نساء ، قال : « **اقتلوهم ولو تعلَّقوا بأستار الكعبة** » ؛ لأنهم ارتكبوا أعمالًا إجرامية خطيرة في حق المسلمين فأعتبرهم مجرمي حرب - بتعبير العصر الحديث - وكان من هؤلاء عكرمة بن أبي جهل ، فلمَّا علم عكرمة بأن النبي ﷺ أهدر دمه هرب إلى اليمن ، ولكن زوجه أم حكيم بنت الحارث بن هشام أسلمت وبايعت النبي ﷺ واستعطفته لزوجها عكرمة وطلبت له منه الأمان فأمَّنه فلحقت به في اليمن فجاء إلى النبي

وأسلم بين يديه [1] وعفى عنه .

معنى هذا أن الرسول ﷺ ألغى قراره الأول ؛ لأنه لم يكن قرار نبوة بوحي من الله ولو كان كذلك لما كان له أن يلغيه ، ولكنه كان قرار رئيس الدولة والقائد الأعلى للجيش اتخذه ضد رجل اعتبره مجرمًا خطيرًا ، ولكنه رأى أن المصلحة في العفو عنه جبرًا لخاطر زوجه أم حكيم فأصدار قرارًا بالعفو ألغى به قرار الإعدام .

والمقام لا يتسع هنا لإيراد المزيد مما

(١) انظر سيرة ابن هشام (٤/٣٨) . تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد .

يفوق الحصر من اجتهادات النبي ﷺ واستشارته لأصحابه في شؤون الدولة العسكرية والسياسية والإدارية ، وإنما أردت أن أنبه إلى أنه إذا كان رسول اللّٰه ﷺ يجتهد ويستشير في أمور الحياة ، وينصح أصحابه بالتعويل على الخبرة في كل مجال فهو القائل لهم : « **أنتم أعلم بأمور دنياكم** » إذا كان هذا شأن رسول اللّٰه ﷺ ، وهو من هو؟ فكيف بغيره ، وكيف يجوز لإنسان كائنًا من كان أن يقول : إن الدولة الإسلامية دولة دينية لا مجال فيها للاجتهاد ولا للرأي الآخر ، ولا الاعتراف بالآخر .

اجتهاد خلفاء الرسول في تنظيم الدولة :

بعد وفاة رسول اللّه ﷺ بأقل من سنة اشتبك المسلمون في حروب مع الفرس والروم أكبر وأقوى دولتين في العالم في ذلك الزمان . وليس هنا مجال شرح أسباب تلك الحروب [1] .

ولكن المهم أنه لم ينته عهد الخلفاء الراشدين إلا وكان المسلمون قد فتحوا

---

(١) الذي يريد معرفة أسباب تلك الحروب وأن المسلمين لم يكونوا البادئين فيها ، وإنما كانو يردون عدوان الفرس والروم الذين أرادوا أن ينقضُّوا على الإسلام ويخوفوه في مهده فعليه أن يراجع كتب التاريخ المعتمدة كالطبري وغيره .

بلاد العراق وكل بلاد الفرس وفتحوا الشام ومصر وجزءًا من شمال أفريقيا وهذه كلها كانت من ممتلكات الدولة الرومانية الشرقية أو الدولة البيزنطية التي سمَّاها المسلمون دولة الروم أخذًا من تسمية القرآن الكريم لهم . الذي نقصده هنا أن هذه البلاد التي فتحها المسلمون كانت كلها بلادًا عريقة في الحكم والسياسة والإدارة ، فاستفاد المسلمون من هذا التراث كله في تنظيم دولتهم ولم يستنكفوا أن يأخذوا بأي أسلوب سياسي أو إداري يفيدهم طالما لا يناقض عقيدتهم ؛ لأن هذه تجارب إنسانية

لا غنى لأحد عنها وشعارهم كان : **« الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها ولا يضره من أي وعاء خرجت »** ؛ لذلك لم يتردد عمر بن الخطاب ﷺ في اقتباس نظام الدواوين من الفرس ، ولم يقل : هؤلاء كانوا مجوسًا كفرة والدواوين كانت تقوم بعمل الوزارات في الوقت الحاضر .

بل إن الأفق الإسلامي كان من الاتساع بحيث عهد إلى المجوس في فارس والعراق وإلى النصارى في مصر والشام بتنظيم دواوين الخراج التي كانت أهم دواوين الدولة الإسلامية ؛ لأنها كانت

بمثابة وزارة المالية في النظم الحديثة ، التي من اختصاصاتها حصر موارد الدول وصرفها في مصارفها الشرعية ، ولم يستنكر أحد من الصحابة ذلك على الإطلاق ؛ لأن العرب المسلمين في ذلك الوقت لم تكن لديهم الخبرة المالية ولا يعرفون اللغات التي كانت تستخدم في تلك الدواوين ؛ حيث كانت اللغة الفارسية هي المستخدمة في العراق وفارس ، واللغة اليونانية هي المستخدمة في الشام ومصر ولا يتسع المقام هنا لذكر أسماء هؤلاء [1] .

---

(١) انظر بحثًا بعنوان « الإدارة في الإسلام » تأليف =

الإسلام والحضارات القديمة :

وما يقال عن استفادة المسلمين من تجارب الأمم السابقة في المجال الإداري والمالي وتنظيم الدولة يقال عن استفادتهم في المجال العلمي ، فمن المعروف أن الفتوحات الإسلامية في عهد بني أمية وصلت إلى حدود الصين في الشرق وإلى الأندلس في الغرب ومن حسن الحظ أن

= د . عبد الشافي محمد عبد اللطيف . نشر المؤسسة الثقافية العالمية العدد (٤٣) (ص ٤٩) وما بعدها . تجد معلومات وفيرة عن غير العرب وغير المسلمين الذين عملوا في دواوين الدولة الإسلامية وأجهزتها .

هذه الرقعة من الأرض كان بها أهم مراكز العلم في مصر والشام وفارس فهذه البلاد هي مواطن الحضارات القديمة ، فحافظ المسلمون على هذا التراث وكان معظمه تراثًا وثنيًا خاصة تراث الإغرايق ، ثم في نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية عكفوا على ترجمة هذا التراث كله من طب وهندسة وفلك ورياضيات ... إلخ ، وكان الذين قاموا بترجمة هذه العلوم معظمهم من اليهود والنصارى والصابئة الذين كانوا يعملون في بيت الحكمة الذي أنشأه الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ) في بغداد وطوره المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ) .

« والذي يطالع بعض كتب طبقات العلماء وكتب التراجم في هذا الموضوع مثل كتاب الفهرست « لابن النديم » وكتاب « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » لابن أبي أصيبعة وكتاب « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » للقفطي يجد عشرات بل مئات الأسماء للعلماء من اليهود والنصارى والصابئة مذكورة بكل التبجيل والاحترام والاعتراف لهم بالفضل، وقد كرَّمتهم الدولة الإسلامية وأغدقت عليهم العطايا والهبات فوق المرتبات السخية ، وكرم وسخاء الدولة

الإسلامية مع العلماء من الأمور المشهورة والتي يعرفها كل من له إلمام بهذا الموضوع فالخليفة المأمون كان يعطي من يترجم كتابًا من اليونانية أو الفارسية أو غيرها إلى اللغة العربية ، كان يعطيه وزن الكتاب ذهبًا خالصًا مكافأة زيادة على مرتبه ، ونحن نعرف أن الكتب في ذلك الوقت كانت تُكتب بخط اليد وعلى ورق الغزال يعني كان وزن الكتاب ثقيلًا .

ولذلك قابل هؤلاء العلماء سخاء الدولة الإسلامية معهم واحترامها لهم بما يستحقه فبذلوا كل جهد ممكن ، وكانوا من أهم العمد التي قامت عليها

الحضارة العربية الإسلامية [1] ، والتي أصبحت الحضارة الأولى في العالم لمدة تزيد على ثمانية قرون وتألقت ووصلت إلى أوجها وقت أن كانت أوربا تسقط في الظلام بسبب جور وفجر الكنيسة الكاثوليكية وتحريمها على العلماء البحث

---

(١) وعلماء الحضارة الإسلامية بعد خلاف طويل حول التسمية هل نسميها إسلامية فقط أو عربية فقط ، اتفقوا على أن أفضل تسمية أن نسميها الحضارة العربية الإسلامية ؛ لأن أجناسًا كثيرة اشتركت في صنعها ، فمنهم من هو عربي مسلم ، ومنهم من هو عربي غير مسلم ، ومنهم من هو مسلم غير عربي ، فمن حق هؤلاء جميعًا أن يجدوا أنفسهم في التسمية .

في أسرار الكون فضلًا حتى عن قراءة الإنجيل قراءة حرَّة بعيدة عن تدخلها ، وقد سبقت الإشارة إلى موقفها من كبار العلماء مثل : كوبرنيق وجاليليو وغيرهم .

وتألق الحضارة الإسلامية في الشرق وفي الأندلس الإسلامية هو الذي فتح عيون الأوربيين وأذهانهم للبحث العلمي ، ونحن نُحيل من يريد معرفة كيف تألقت الحضارة الإسلامية ؟ وكيف استفاد منها الأوربيون لا إلى كتب المسلمين ، بل إلى كتب العلماء الأوربيين أنفسهم مثل : « حضارة العرب » لجوستاف لوبون الفرنسي ، و « الحضارة الإسلامية في

القرن الرابع للهجرة » لآدم منتز الألماني ، و« شمس العرب تسطع على الغرب » لسجريد هونكة الألمانية [1]. وكل هذه الكتب تتحدث عن أن النبلاء والأمراء والأغنياء في كل أوربا الغربية كانوا يبعثون أولادهم وبناتهم ليتعلّموا في الجامعات الإسلامية في المدن الأندلسية مثل : قرطبة ، وطليطلة ، وأشبيلية وغيرها . ولم يكونوا

(١) والقائمة طويلة فهناك الآلاف من العلماء الأوربيين والأمريكيين الذين أنصفوا الحضارة العربية الإسلامية واعترفوا بفضلها على الحضارة الأوربية ، ويكفي للإنسان أن يطالع كتابًا واحدًا في الموضوع وهو كتاب « المستشرقون » لنجيب القبيصي في ثلاثة مجلدات .

يذهبون للتعليم فقط ، بل وللاستشفاء وطلب أدوات الترف والزينة ... إلخ .
لدرجة أن أحد من تولوا الكرسي البابوي في روما سنة (٩٩٩م) وهو البابا سلفستر الثاني قد تلقَّى تعليمه في قرطبة عاصمة الأندلس الإسلامية ، وندع الدكتورة سيجريد هونكة تصور لنا الازدهار العلمي الذي شهدته الأندلس في العهد الإسلامي فتقول : « وفي الأندلس تجتذب قرطبة طلاب العلم من كل أنحاء الشرق ، بل والغرب أيضًا ، تجذبهم بمدارسها العليا ، ومكتبتها العظيمة التي جمع لها الخليفة الحكم الثاني (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) ،

(٩٦١ - ٩٧٦م) وهو من أشهر علماء عصره ، نصف مليون من الكتب القيمة جمعها له عشرات من رجاله وعلّق الخليفة نفسه على هوامش عدد كبير منها قبل وفاته ... وفي القاهرة رتب مئات العمال والفنيين في مكتبتي - الحاكمْ بأمر اللّه (٣٨٦ - ٤١١هـ) ، (٩٩٦ - ١٠٢٠م) - مليونيين ومائتين من المجلدات ، وهو عدد يعادل عشرين ضعف ما حوته مكتبة الإسكندرية الوحيدة في عصرها . إنه لمن المعلوم تمامًا أنه ليس ثمة أحد في روما - وقتها - له من المعرفة ما يؤهله لأن يعمل بوابًا لتلك المكتبة وأنَّى لنا أن نعلِّم الناس

ونحن في حاجة إلى من يعلمنا . إن فاقد الشيء لا يعطيه ، هذا ما قاله متحسرًا من يعرف الحقيقة تمام المعرفة ، أعني به جربرت فون أورياك Gerbert Von Auriac . الذي ارتقى كرسي البابوية في روما عام (١٩٩٩م) باسم البابا سلفسترو الثاني [١] .

وفي هذا العام نفسه نشر أبو القاسم - الزهراوي - مبادئ الجراحة التي ظلت شائعة لقرون عدَّة ، وشرح البيروني - أرسطوطاليس العرب - للفكر العالمي دوران الأرض حول الشمس ، واكتشف

---

(١) الذي سبقت الإشارة إليه قبل قليل .

الحسن بن الهيثم قوانين الرؤية ، وأجرى التجارب بالمرايا والعدسات المستديرة والإسطوانية المخوطية ، وبينما كان العالم العربي يسرح في هذا العالم نحو قمة عصره الذهبي ، وقف الغرب مذهولًا وقد تولاه الفزع ، يترقب نهاية العالم عمًّا قريب . ويخطب القيصر الشاب أوتو الثالث otto وهو ابن عشرين ربيعًا الناس فيقول : « والآن سيأتي المسيح ويحضر الناس ليقتص من هذا العالم » وبينما أوتو الثالث يتشدَّق بهذه الكلمات الجوفاء كان ابن سينا ، وهو حينئذٍ فتًى في العشرين من عمره ، قد بدأ يملأ الدنيا بأنباء انتصاراته

العلمية الباهرة . إنَّ هذه القفزة السريعة المدهشة في سلم الحضارة التي قفزها أبناء الصحراء – والتي بدأت من اللاشيء – لهي ظاهرة جديرة بالاعتبار في تاريخ الفكر الإنساني . وإن انتصاراتهم العلمية المتلاحقة التي جعلت منهم سادة الشعوب المتحضِّرة في هذا العصر لهي فريدة في نوعها لدرجة تجعلها أعظم من أن تُقارن بغيرها ، وتدعونا أن نقف هنية متأملين ، كيف حدث هذا ؟ وكيف أمكن لشعب لم يمثل من قبل دورًا حضاريًّا أو سياسيًّا يذكر أن يقف مع الإغريق في فترة وجيزة علىقدم المساواة . إنَّ ما حققه

العرب لم تستطع أن تحققه شعوب كثيرة أخرى كانت تمتلك من مقومات الحضارة ما قد كان يؤهلها لهذا ، بيزنطة وريثة الحضارتين الشرقية والإغريقية بقيت على جهالتها مع أنها بلُغتها اليونانية كانت أقرب الناس إلى الحضارة الإغريقية ، والسوريون هم تلامذة الإغريق ، كان لهم من الحضارة قبل الإسلام حظ وفير ، ولقد نقلوا عن طريق الترجمة كثيرًا من أعمال الإغريق إلى لغتهم ، ولكنهم أيضًا كبيزنطة فشلوا في أن يجعلوا مما اقتبسوه من الإغريق بذرة لحضارة تزدهر كما فعل العرب فيما بعد . ولم تكن فارس التي اقتبست من

حضارات الصين والهند والإغريق بأسعد حظًّا من بيزنطة أو سوريا ، وبرغم تحسن الحالة الاقتصادية في تلك البلاد ورعاية الدولة للعلوم والعلماء فإنه لم يتح لحضارة تلك البلاد أن تصبح حضارة مبتكرة مؤثرة إلَّا في جو عقلي آخر وفي ثنايا حضارة ثانية أنجح هي الحضارة العربية . لم يأت خلفاء الإغريق على عرش الحضارة من بيزنطة أو من سوريا ولم يأتوا من فارس ، حلقة الاتصال بين حضارتي الشرق والغرب ، بل أتى سادة الحضارة الجدد من قلب الصحراء الجدباء ، ليتبوؤا فجأة مركز الزعامة بين حضارات العالم بلا منازع مدة ثمانية قرون

وبهذا ازدهرت حضارتهم أكثر من حضارة الإغريق أنفسهم . إن انتصارات العرب وفتوحاتهم التي لا تقارن قد خلقت لهم عالمًا ثبت أقدامهم (١) .

معذرةً لقد أطلت في النقل عن الدكتورة سيجريد هونكة ؛ لأني رأيت هذا ضروريًا ونحن نتحدث عن الفكر الإسلامي والعلمانية ولنقول : وشهد شاهد من أهلها ، ففي الوقت الذي بلغت

(١) شمس العرب تسطع على الغرب . أثر الحضارة العربية في أوربا . دار الجيل بيروت الطبعة الثامنة (ص٢٥٥ - ٣٥٣) ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي .

فيه الحضارة العربية الإسلامية هذا الشأو وهذه المكانة العالمية الرفيعة على النحو السابق كانت الكنيسة الكاثوليكية في روما تعلق المشانق للعلماء بعد أن تدينهم محاكم التفتيش ، وتصب عليهم العذاب صبًّا ؛ ولذلك كان الأوربيون أنفسهم هم الذين أطلقوا على هذه العصور عصور الظلام والجهل والتخلف ، وموقف الكنيسة هذا الذي كبل عقول العلماء وألهب ظهورهم بقرارات الطرد والحرمان التي لم تكن فقط حرمان المطرود من الجنة ، بل أهدروا كرامته ودمه في الدنيا فيفقد اعتباره عند الناس ؛ لأن الكنيسة

غضبت عليه ولعنته . والتاريخ الأوربي طافح بعشرات الآلاف من الأمثلة . وهذا الموقف هو الذي جعل العلماء في أوربا يستجمعون شجاعتهم ، بل ويتمردون على الكنيسة ويرفضونها جملةً وتفصيلًا ، وهذا الموقف هو الذي أصبح يعرف بالعلمانية ، ومن ثم انطلقوا انطلاقتهم الكبرى بما سمي بعصر النهضة الأوربية . وحقَّقوا فتوحاتهم الكبرى في علوم الفلك والجغرافيا والفيزياء والكيمياء والرياضيات والهندسة ... إلخ ، واكتشفوا العالم الجديد - الأمريكتين - وملكوا زمام وناصية العلم والقوة السياسية والعسكرية

والاقتصادية ، ولا يزالون [1] ، ولكنهم للأسف استغلُّوا تلك الإمكانات الهائلة في استغلال الشعوب واحتلال أراضيها واغتصاب ممتلكاتها ولا يزالون ، والعالم كله شاهد على ذلك .

العلمانية في الفكر الإسلامي

عرفنا الظروف التاريخية التي نشأت

---

(١) الكتب التي تناولت عصر النهضة الأوربية أكثر من الحصر في معظم لغات العالم ، ويكفي أن نلفت النظر إلى كتاب عالم من علمائنا المصريين الكبار وهو الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور وهو « أوربا العصور الوسطى »، الجزء الثاني « النهضات والحضارة والنظم » .

فيها العلمانية في أوربا وأنها كانت رد فعل لسيطرة الكنيسة الكاثوليكية في روما ، بل سطوتها ، بل طغيانها على الحياة الأوربية قبل أبعادها السياسية والدينية والعلمية ، فهل كان في العالم الإسلامي أو بالأحرى هل في الإسلام سلطة كنيسة أو هيئة إكليروس كما كان في أوربا ؟ والجواب : بالقطع لا ؛ لأن الإسلام لا يعرف حتى كلمة رجال دين ، وإنما هناك علماء وفقهاء لهم أن يجتهدوا وقد يصيبون وقد يخطئون وقاعدتهم التي ساروا عليها والتي هي من ثوابت الفكر الإسلامي : « إن من اجتهد وأصاب فله أجران ، ومن اجتهد

وأخطأ فله أجر » وليس من حق أحد كائنًا من كان أن يلزم أحدًا برأيه في أية قضية من قضايا الفكر الإسلامي لا يحكمها نص من كتاب اللَّه أو سنة رسول اللَّه ﷺ ، وهنا نستشهد بكلمة الإمام مالك ابن أنس إمام دار الهجرة المشهور ، والتي كان يرددها كثيرًا لتلاميذه وهو يدرِّس لهم في مسجد رسول اللَّه ﷺ كان يقول لهم : « كل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه إلَّا صاحب هذا القبر » ويشير بيده إلى قبر رسول اللَّه ﷺ .

أي أنه ليست هناك قداسة ولا عصمة لرأي أي بشر ، حتى ولو كان الخليفة

نفسه وكما لم يكن في الإسلام سلطة كنسية تحتكر تفسير الكتاب المقدَّس وتُصدر صكوك الفقراء وقرارات الطرد والحرمان فلم يكن فيه كذلك حكومة دينية تقوم على الادعاء بالحق الإلهي المقدَّس كما ادعى بعض الحكام في أوربا في العصور الوسطى .

فالحكومة في الإسلام حكومة مدنية والحاكم فيها بشر يستمد سلطته من الأمة التي تختاره بإرادتها الحرَّة فيما كان يسمى بالبيعة وهي التي تحاسبه وتعيده إلى الصواب إن أخطأ ، بل تعزله إذا لزم

الأمر [١] ، وننظر إلى أول خطاب وجّهه إلى الأمة الإسلامية أول خليفة لرسول اللّه ﷺ وهو أبو بكر الصديق بعد أن تمت بيعته في مسجد رسول اللّه ، فقد قال لهم بعد أن حمد اللّه تعالى وأثنى عليه : « أما

---

(١) إن الثورة التي قامت في وجه الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ تعترض على بعض تصرفات رأوها من وجهة نظرهم تخالف مبادئ الإسلام ، تدل على أن الأمة كانت تعرف حقها في نقد الحاكم بل مطالبته بالاعتزال ، غير أنهم تجاوزوا حدودهم وقتلوه ظلمًا وعدوانًا ، ولو وقفوا عند مطالبته بالعزل لكان هذا حقهم والإسلام هو الذي علمهم أن لهم مثل هذا الحق .

بعد ، أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء اللَّه ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء اللَّه ، ولا يدع قوم الجهاد في سبيل اللَّه إلَّا ضربهم اللَّه بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلَّا عمَّهم اللَّه بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت اللَّه ورسوله ، فإذا عصيت اللَّه ورسوله فلا طاعة لي عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم

اللّه »(١) فهل هناك في هذا الخطاب الذي وجّهه أبو بكر الصديق ﷺ إلى الأمة ليشرح لهم منهجه وسياسته في إدارة شؤون الأمة كلمة واحدة يتهم فيها أنه ادعى أنه يستمد سلطته من اللّه ولا معقب عليه . وألا تدل كلمته : « فإني قد وليت عليكم » أنه يعترف بأن الأمة هي التي اختارته وولته أمورها . ومن حقها أن تحاسبه وتقوّم أخطاءه .

فالحاكم المسلم حاكم مدني والحكومة الإسلامية حكومة مدنية ، وقد أشرنا فيما

---

(١) سيرة ابن هشام (٣٤٠/٤ ، ٣٤١) .

سبق أن الرسول ﷺ من موقف قيادته للأمة أي : كرئيس للدولة فهو بشر يستشير ويجتهد في أمورها السياسية والعسكرية والإدارية ، وقد ضربنا هناك كثيرًا من الأمثلة على ذلك . ثم إن هناك أمرًا مهمًّا ينبغي التنويه به في هذا المقام ، وهو أنه من المواقف السيئة للكنيسة الكاثوليكية موقفها من الإقطاع ضد أرقام الأرض ، أما علماء المسلمين فكانوا دائمًا يقفون في صفوف المظلومين ضد السلطة الظالمة [١] .

---

(١) انظر أحدث كتاب صدر في هذا المجال بعنوان : « مشايخ ضد السلطة والسلطان » لمؤلفه الدكتور =

موقف الإسلام من العلم :

رأينا فيما سبق كيف وقفت الكنيسة الكاثوليكية في روما حجر عثرة في طريق العلم والعلماء ، وأن من كان يتجرأ أو يحاول البحث في الفلك أو الكيمياء أو الفيزياء أو حتى الطلب كان يتعرض للمحاكمة أمام محاكم التفتيش ويحكم عليه بالإعدام ويحرق جسده ويذر رماده في الهواء كما حدث مع برونو . والأمثلة

= إسماعيل إبراهيم . طبع دار (الكرز) بالقاهرة سنة (٢٠٠٤م) وفيه يبين المؤلف المواقف المشرفة لعلماء المسلمين ووقوفهم مع الشعوب ضد مظالم الحكام من العهد الأموي حتى الوقت الحاضر .

على قسوة الكنيسة مع العلماء لا حصر ، لها ، وننبه هنا إلى ما ذكرناه هناك من أن موقف الكنيسة هذا لا علاقة له بالدين المسيحي ولا بالإنجيل ، فليس هناك دين سماوي جاء من عند اللّه يمنع الناس من أن يتعلموا ويبحثوا ويكشفوا عن أسرار اللّه في كونه الذي خلقه من أجلهم وسخَّره لمصلحتهم ، وتحقيق سعادتهم في الدارين . ويريدهم أن يكونوا جهلاء ، وقلنا : أن القرآن الكريم وصف الإنجيل بأنه فيه هدىً ونور .

فموقف الكنيسة الكاثوليكية في روما كان موقفًا خاصًّا بها وبرجالها الذين

كانوا مُولعين باحتكار كل شيء ، السلطة والمال والعلم والدين ، فهل في تاريخ الفكر الإسلامي – حتى في أشد عصوره تخلفًا – موقف مشابه لموقف الكنيسة من العلم والعلماء والبحث العلمي ؟ الجواب : بالقطع لا [1] .

لأن الإسلام من أول الأمر دعوة للعلم

---

(١) قد يعترض البعض ويردد ويضرب أمثلة بأن بعض العلماء المسلمين كانوا يتعرضون للاضطهاد وتحرق كتبهم ، وبصفة خاصة الفلاسفة كما حدث مع ابن رشد ولكن هذه أمثلة شاذة ، وكانت السياسة هي التي تؤدي إلى هذه المواقف الشاذة ، أما الموقف العام للأمة فهو التسامح وحرية التفكير والبحث العلمي .

والتعليم ، ويكفي أن يعرف الناس أن أول آية من القرآن الكريم نزلت على رسول اللّٰه ﷺ كانت : ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ [العلق : ١] فلم يقل له ﷺ : قم صل أو زك وإنما ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ ، يعني : خذ مفتاح العلم واكشف أسرار الكون الذي أُمرت أن تصلح أموره التي فسدت وأن تعمره أنت وأتباعك حتى يكون صالحًا للحياة البشرية ، وتقيم فيه دولة الحق والعدل والمساواة بين البشر . والآيات القرآنية التي تحث على العلم والتعليم وترفع من شأن العلم والعلماء في القرآن الكريم أكثر من أن تحصر . بل إن في القرآن الكريم كثير من الآيات الكريمة

التي تحث المسلمين ، بل تحرضهم تحريضًا على النظر في الكون وكشف القوانين التي تحكم ظواهره ، ليصلوا إلى كنه آيات اللّه وأسراره فيه ووعدهم إن فعلوا ذلك أن يريهم العجائب من آياته في كونه حيث قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] ، أما أحاديث الرسول ﷺ وتطبيقاته العملية في هذا المجال فهي أيضًا فوق الحصر . ويكفي لمن يريد المزيد أن يطلع على أبواب العلم في كتب الحديث الصحيحة ، وفي سيرة رسول اللّه ﷺ ،

ليرى هذا الكم الكبير من الأحاديث النبوية التي تحث على العلم ، ونجعل مداد العلماء مساويًا لدماء الشهداء .

لهذا انطلق العلماء المسلمون يجتهدون ويبدعون في كل مجالات العلوم لا في علوم الشريعة فحسب ، بل في العلوم الكونية في الفلك والكيمياء والفيزياء والهندسة والطب وعلوم الحيوان ... إلخ . حتى بلغت الحضارة الإسلامية وازدهرت في نحو قرن من الزمان بعد وفاة الرسول ﷺ ، وهذه قفزة حضارية لم يعرف تاريخ الحضارات البشرية أسرع منها فكل أهل الاختصاص يعرفون كم قرنًا أخذت

الحضارة المصرية القديمة وبعدها الحضارة الإغريقية حتى تألقت ، أما هذه الحضارة الإسلامية فقد بدأت ونمت وترعرعت وازدهرت وبلغت القمة في هذا الوقت الوجيز ؛ لأن القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ هما اللذان وجهاها ، وقد رعاها خلفاء ، وحكّام كانوا هم أنفسهم علماء وأكبر مشجعين للعلم [١] ، وقد اعترف

---

(١) سبق أن ذكرنا أن الخليفة المأمون كان يكافئ العلماء بإعطائهم وزن الكتب التي يترجمونها إلى اللغة العربية وزنها من الذهب الخالص زيادة على مرتباتهم الدائمة من بيت مال المسلمين ، وفيهم يهود ونصارى وصابئة . ورأينا كم الكتب التي كانت =

كل المنصفين من علماء الغرب بعظمة هذه الحضارة العربية الإسلامية التي علمت أوربا وفتحت أمامها طريق العلم وأوصلتها إلى عصر النهضة ، وقد ضربنا فيما سبق كثيرًا من الأمثلة على شهادات هؤلاء العلماء لهذه الحضارة النيرة واقتبسنا نصوصًا كثيرة من كتاب الدكتورة سيجريد هونكة المستشرقة الألمانية : « شمس العرب تسطع على الغرب » .

= تحفل بها مكتبات الخلفاء في الشرق والغرب .

هل كان العالم الإسلامي في حاجة إلى العلمانية ؟

لكل ما سبق فإن علماء المسلمين ومفكريهم يرون أن العالم الإسلامي لم يكن في حاجة أبدًا إلى العلمانية بمفهومها الغربي . ولم يكن لهذه الكلمة وجود في التاريخ الإسلامي على مر عصوره - كما سبق وأن أشرنا - رغم هذا وفدت الكلمة بل زفت وروج لها كثير من الذين بهرتهم الحضارة الأوربية فأعشت أبصارهم . والذي روَّج للعلمانية في العالم الإسلامي أنها وفدت إليه بعد أن حققت أوربا نهضتها العلمية الكبرى وأمسكت بزمام

العلم والتقدم ، وهذا مكَّنها من السيطرة على العالم واستعمار معظم بلاد المسلمين في المشرق والمغرب ، ولما كانت أوربا قد حققت كل ذلك بعد أن تحررت من أسر الكنيسة وفكَّت عنها أغلالها فقد ظن بعض المثقفين في العالم الإسلامي أن أوربا ما حققت نهضتها إلا بعد أن نحت الدين عن نظامها السياسي وحياتها العملية فإذا أردنا نحن أن نتقدم مثلهم فلا سبيل أمامنا إلا أن نحذو حذوهم ونطرد الدين أو ندير له ظهورنا أو نحصره في المساجد فقط أو نبعده تمامًا عن شؤون حياتنا .

ومن هنا ظهر من ينكر أن الإسلام دين ودولة بل هو دين فقط ، وأن الرسول ﷺ لم يقم دولة وإنما كوَّن أمة - ولا نعرف كيف يمكن أن تكون أمة وتدبِّر أمورها بدون دولة وبدون حكومة - وكان من أوائل من نادى بعدم وجود دولة في الإسلام العالم الأزهري علي عبد الرازق في كتابه الشهير « الإسلام وأصول الحكم » والذي ينكر فيه تمامًا وجود دولة في الإسلام [1] . وقد أثار هذا الكتاب

(١) انظر كتاب الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهي . مكتبة وهبة مرجع سبق ذكره (ص ٢٢٥) وما بعدها .

ضجَّة هائلة في مصر والعالم الإسلامي عند ظهوره سنة (١٩٢٥م) وهبَّ كثير من علماء الإسلام للرد عليه وتفنيده بالأدلة العلمية في العديد من الكتب [١] مثل : كتاب « حقيقة الإسلام وأصول الحكم » للشيخ محمد بخيت المطيعي ، وكتاب « نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم » للشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر الأسبق ، و« الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي »

---

(١) راجع كتاب تيارات ومذاهب فكرية في الميزان . مرجع سابق (ص ٥٠) وما بعدها .

للدكتور محمد البهي في فصل الإسلام دين لا دولة ، وكتاب « الإسلام والخلافة في العصر الحديث ، نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم » للدكتور محمد ضياء الدين الريس ، وكتاب « سقوط العلمانية » للأستاذ أنور الجندي . وقافلة الذين تبنُّوا العلمانية وأخذوا على عاتقهم الترويج لها في العالم الإسلامي طويلة ، ومن أبرزهم وأشهرهم في مصر الآن المستشار محمد سعيد العشماوي الذي كتب العديد من الكتب وألقى كثيرًا من المحاضرات في هذا الموضوع ، فهو أحيانًا ينكر وجود نظام

الحكم في الإسلام تمامًا ، ثم يعود – وفي نفس الكتاب – فيعترف بأنه كانت هناك حكومة إسلامية ، فهو في كتابه الأشهر – الإسلام السياسي – نراه من أول سطر في هذا الكتاب يقول : « أراد اللّٰه للإسلام أن يكون دينًا ، وأراد به الناس أن يكون سياسة ، والدين عام إنساني شامل ، أما السياسة فهي قاصرة محدودة قبلية محلية ومؤقتة ، وقصر الدين على السياسة قصر له على نطاق ضيق وإقليم خاص وجماعة معينة ووقت بذاته ، الدين يستشرف في الإنسان أرقى ما فيه وأسمى ما يمكن أن

يصل إليه والسياسة تستثير فيه أحط ما يمكن أن ينزل إليه وأدنى ما يمكن أن يهبط به ، وممارسته السياسة باسم الدين أو مباشرة الدين بأسلوب السياسة يحوله إلى حروب لا تنتهي وتحزبات لا تتوقف ... لكل أولئك فإن تسييس الدين أو تديين السياسة لا يكون إلّا عملًا من أعمال الفجار الأشرار ، أو عملًا من أعمال الجهال غير المبصرين » [1] وفي نفس الكتاب يعود المستشار محمد سعيد

---

(١) الإسلام السياسي طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر سنة (١٩٩٠م) ، (ص٥) .

العشماوي ليقول : « إن الإسلام لا يوصي ولا يشترط حكومة من نوع خاص ، ولم يضع أو ينظم أي شكل للحكومة وهو على الإطلاق ضد ما يسمَّى بالحكومة الدينية التي تضفي عصمة أو قداسة بأي شكل من الأشكال على الحكَّام [١] فيعملون بذلك ضد مصالح المسلمين وضد الحرية والعدل مستغلين صفتهم أو محرِّفين الدين ومشوهين الواقع ، إن

---

(١) لم يقل أي عالم أو فقيه من فقهاء الإسلام في عصر من العصور بالحكومة الدينية أو يضفي قداسة على أي حاكم كما يدعي المستشار .

الإسلام يعني بالإنسان لا بالنظام ، وبالضمير لا بالأحكام القانونية ، بالروح لا بالحروف ، والحكومة الإسلامية الحقيقية المتمشية مع الإسلام نصًّا والمتوافقة مع الدين روحًا ، هي الحكومة التي تقوم على العدل وتنزع إلى الإنسانية . هذه الحكومة هي التي توصف بأنها حكومة مدنية تصدر عن الشعب وتعمل من أجله ، إنها حكومة تضم كل الناس في مجتمع واحد ، لا يستبعد منه أحد لتفريق عنصري أو تمييز شخصي أو لاختلاف عقائدي [1] ... هذه

(١) سبق أن ذكرنا أن الحكومة التي أقامها الرسول ﷺ =

هي الحكومة الجديدة والحقيقية للإسلام [1]
وهنا نلاحظ التناقض بين أول كلام المستشار العشماوي حيث يعتبر السياسة عملًا من أعمال الفجّار الأشرار ، وينكر تمامًا أن يكون في الدين الإسلامي سياسة ، وبين كلامه هنا عن الحكومة الدينية والحكومة المدنية ، حيث يعترف بأن الحكومة التي يعترف بها الإسلام هي الحكومة المدنية . وهنا يتفق مع كل

= في المدينة طبقت كل هذا الذي يتبارى به العشماوي ، حيث سمحت لليهود بالبقاء على دينهم مع أنهم أصبحوا مواطنين في دولة إسلامية .

(١) المرجع السابق (ص ١١٦ ، ١١٧) .

المفكرين المسلمين الذين كتبوا في هذا الموضوع ، يقول الدكتور محمد عمارة : يعرّف العشماوي الحكومة المدنية فيقول : « الحكومة المدنية أو نظام الحكم المدني هو النظام الذي تقيمه الجماعة مستندًا إلى قيمها ، مرتكزًا إلى إرادتها ، ومستمرًّا برغبتها ، حتى لو طبق أحكامًا دينية أو قواعد شرعية » ويعرّف الحكم الديني فيقول : « أما الحكم الديني فإنه ليس الحكم الذي يستند على قيم الدين أو أحكام الشريعة ، أو الحكم الذي يطبق هذه وتلك ، وإنما يكون الحكم دينيًا حين

يضفي على الحاكم صفات دينية أو يسبغ على الرئيس معاني شرعية ، بحيث يصبح في الحقيقة والواقع هو الدين والشريعة ، ما يقوله هو قول اللَّه ، وما يفعله هو فعل اللَّه وما يحكم به هو حكم اللَّه ، ولا يعارضه أحد إلَّا صار مارقًا من الدين ولا ينافسه شخص إلَّا عد خارجًا عن الشريعة ، يستحق الإعدام دينيًا ويستوجب القتل شرعيًا ، فمناط التفرقة بين الحكم المدني والحكم الديني إنما يكمن في صفة الحاكم ووصف الحكم ، ففي الحكم المدني يكون الحاكم شخص

غير معصوم ولا مقدس ، بينما يكون في الحكم الديني مقدسًا ومعصومًا » [1] ، يقول الدكتور محمد عمارة : « ونحن نعلن اتفاقنا مع المستشار العشماوي في تعريفه هـذا لكلٍّ من الحكومة المدنية والحكومة الدينية ، وفي تحديده أن مكمن ومناط التفرقة بينهما ليس في الاستناد إلى الدين وتطبيق الشريعة ، وإنما الحكم الديني هو الذي يدعي عصمة الحاكم وقداسته ،

(١) سقوط الغلو العلماني للدكتور محمد عمارة ، دار الشروق (١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م) ، (ص١٦٣) نقلًا عن كتاب المستشار محمد سعيد العشماوي ، الخلاف الإسلامية (ص ١٨) .

أما المدني فهو الذي لا قداسة فيه ولا عصمة للحاكم ، حتى ولو كان قائمًا على الدين والشريعة » [١] وأغلب ظني أن الذي أوقع المستشار محمد سعيد العشماوي في هذا التناقض ، حيث ينفي أن يكون في الإسلام سياسة أو حكومة ، ثم يعود فيتحدث عن حكومة إسلامية ، وأن الحكم في الإسلام مدني يقوم على إرادة الشعب الذي أوقعه في هذا التناقض أنه لم يدرس سنن التجربة الإسلامية في الحكم دراسة متعمقة كما

---

(١) سقوط الغلو العلماني مرجع سابق (ص ١٦٣) .

يليق برجل من رجال القانون مثله فجاءت أحكامه متناقضة .

ولعل هذا هو حال كثير من العلمانيين العرب الذين لم يدرسوا الإسلام ونظامه السياسي في مصادره الأصلية ، وخاصةً في كتب الفقه السياسي الإسلامي ، مثل : كتاب « الأحكام السلطانية » للماوردي ، والأحكام السلطانية لأبي يعلى ، و « كتاب السير الكبير » للإمام محمد ابن الحسن الشيباني ، ومقدمة ابن خلدون ، ولا حتى البحوث الحديثة في نظام الحكم في الإسلام ، مثل : كتاب « فقه الخلافة »

للدكتور عبد الرزاق السنهوري [1] فقد انبهروا بالتقدم الذي حققه الغرب في المجالات السياسية – النظم الديمقراطية فظنوا أن ذلك تحقق لهم ؛ لأنهم نبذوا الدين ونحوه عن حياتهم السياسية وبحوثهم العلمية ، فإذا أردنا أن نلحق بهم ، ونحقِّق ما حققوه في المجالين

(١) كان هذا الكتاب في الأصل رسالة دكتوراة حصل عليها الدكتور السنهوري من فرنسا سنة (١٩٢٥م) وهو من أهم ما كتب في الفقه السياسي الإسلامي ، فقد عرض مفاهيم نظام الحكم في الإسلام ، من خلال تطور نظام الخلافة الإسلامية وقد أخرجه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في ثلاثة أجزاء .

السياسي والعلمي فلابد أن نحذو حذوهم ونُنحي الدين عن حياتنا السياسية والعلمية فقد كتب واحد من أبرزهم كتابًا بعنوان : « العلمانية ضرورة حضارية » [١] أي : لا يمكن أن تحقق الحضارة في حياة الأمة إلَّا بالعلمانية وهذا يدل على عدم أو قل ضعف إلمامهم بالتاريخ الحضاري للإسلام ، وأن الحضارة الإسلامية بلغت قمة مجدها وازدهارها وعظمتها قبل أن تظهر العلمانية بعدة قرون ، وكتاب آخر

---

(١) للدكتور فؤاد زكريا كتاب بهذا العنوان صدر سنة (١٩٨٩م) .

يقول : إن العلمانية حتمية للديمقراطية [1] ، ولقد أثبتنا فيما سبق أن دولًا إسلامية طبقت الديمقراطية واختارت رؤساءها حسب ما تتطلبه الديمقراطية بدون العلمانية ، ومن هذه الدولة الجمهورية الإسلامية في إيران ، فلا يمكن أن ينكر أحد أن رئيس الجمهورية هناك قد اختير بطريقة الانتخاب الحر النزيه بشهادة المراقبين القريبين أنفسهم ، ولا يستطيع أحد أن يدعي أن الجمهورية الإسلامية في

(١) انظر كتاب الديمقراطية بين العلمانية والإسلام . مرجع سابق (ص ١٧٩) ، والمقولة للدكتور عبد الرازق عيد .

إيران دولة علمانية . وكذلك جمهورية مصر العربية ، فهي دولة إسلامية ودستورها ينص على أن دينها الرسمي هو الإسلام وأن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريعات والقوانين وهي بناء على هذا لا يمكن أن تصنف في الدول العلمانية ، ومع ذلك تطبق لونًا من ألوان الديمقراطية في اختيار رئيسها - ويسعى الناس إلى تطوير هذا النظام - كما سبقت الإشارة - ويفكّرون في تعديل الدستور لتحقيق هذه الغاية على أكمل وجه .

إذن فالقول بأن العلمانية حتمية

للديمقراطية قول غير صحيح ، بل قد يكون النظام علمانيًا وديكتاتوريًا ، بل موغلًا في الديكتاتورية .

يقول الدكتور محمد عبد الجبار في الرد على زميله الدكتور عبد الرزاق عيد وشريكه في تأليف كتاب « الديمقراطية بين العلمانية والإسلام » : « وإذا كان اشتراط العلمانية للديمقراطية هو محاولة لتسويق العلمانية بركوب موجة الديمقراطية ، فإن الهروب المزدوج من تحديد معنى العلمانية أو تحديد معنى الدين ، وهو موقف استشاري يستهدف تغطية الأزمة الثلاثية

التي يعاني منها العلمانيون العرب ، وهي :

أولًا : انحسار الدعوة إلى العلمانية في العالم العربي في العقود الأخيرة .

ثانيًا : فشل الأنظمة العلمانية ومنها الأنظمة الماركسية حتى النخاع – التي أقاموها في بعض الأقطار العربية – في إقامة الديمقراطية .

ثالثًا : تقدم الدعوة إلى الديمقراطية بمعزل عن العلمانية في العالم العربي والإسلامي [1] ... وهذا يعني أن الجماهير

---

(١) ضربنا فيما سبق أمثلة كحالة الجمهورية الإسلامية في إيران وجمهورية مصر العربية .

تدرك بحسها الفطري والتاريخي عدم وجود تناقض بين الإسلام خيارًا حضاريًّا وبين الديمقراطية كآليات للحكم ، تحل مشكلة الشرعية السياسية ، وتحول دون قيام الحكم الديكتاتوري الاستبدادي » [1] .

(١) الديمقراطية بين العلمانية والإسلام ، مرجع سابق (ص ٢٢٦ - ٢٢٩) .

الخلاصة

إن العلمانية نشأت في ظروف تاريخية في أوربا ، كرد فعل لسطوة الكنيسة الكاثوليكية في روما وطغيانها السياسي والديني ، وكانت معتدلة في مرحلتها الأولى ، حيث اكتفت بإبعاد الدين أو قل الكنيسة عن السياسة وتوابعها ، وفي مرحلتها الثانية منذ مطلع القرن التاسع عشر تجرأت وأنكرت الدين ولم تعترف بوجود الله ﷻ كما نادى بذلك فيورباخ (١٨٠٤ - ١٨٧٢م) ، وكارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣م) وغيرهما ، ومنذ

أن وفدت هذه الفكرة أو هذا المذهب إلى العالم الإسلامي وهي تلقى معارضة شديدة من المفكرين المسلمين ؛ لأنها تنكّرت للدين من ناحية ، ومن ناحية ثانية أنها جاءت في أعقاب موجة الاستعمار الأوربي الحديث الذي بدأ يجتاح العالم الإسلامي منذ القرن السابع عشر حتى أكمل سيطرته على ذلك العالم بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى سنة (١٩١٨م) حين انهارت الدولة العثمانية وأعقب ذلك إعلان زوال الخلافة سنة (١٩٢٤م) .
فقد قسمت الدول الاستعمارية التي

خرجت منتصرة من الحرب ، وبصفة خاصة إنجلترا وفرنسا ما بقي من أملاك الدولة العثمانية في العالم العربي فأخذت إنجلترا العراق والأردن وفلسطين ، وأخذت فرنسا سوريا ولبنان ، فأصبح كُره العلمانية مزدوجًا في معظم البلاد الإسلامية ؛ لأنها ارتبطت بالتنكر للدين وصاحبت الغزو الاستعماري ومظالمه واستغلاله لخيرات الشعوب .

والعالم الإسلامي تاريخيًّا – كما شرحنا ذلك مرارًا – لم يكن في حاجة إلى مثل هذه الأفكار ؛ لأن نظام الحكم

الإسلامي هو نظام حكم مدني ، يتولى الحاكم فيه مسؤوليته ويستمد سلطته من الأمة كيفما كان اسمه أو وصفه ، خليفة ، أمير المؤمنين ، رئيس جمهورية ... إلخ ، ويلتزم بالمبادئ العامة للشريعة الإسلامية التي تحكمها نصوص قطعية من الكتاب والسنة ويجتهد هو ويجتهد له ومعه الفقهاء وأهل العلم والخبرة فيما عدى ذلك من شؤون السياسة والإدارة والاقتصاد ، وكانت الشريعة الإسلامية من السعة والمرونة ورحابة الأفق بحيث إنها لم تمنع أبدًا الاستفادة من خبرة الآخرين في أي مجال من مجالات الحياة

طالما لا يتناقض ذلك مع مبادئ الشريعة الإسلامية ومقرراتها الأساسية ومقاصدها العليا .

ومما نفر المسلمين من العلمانية أنها أطلقت العنان لنظمها وتشريعاتها من كل قيد أخلاقي ، فمثلًا إذا كان في العلمانية ، ما يعيدنا في مجال السياسة ونظم الحكم والإدارة ... إلخ . فلا بأس بذلك ، وقد كررنا مرارًا في هذا البحث أن المسلمين منذ البداية أخذوا واستفادوا في المجال الإداري وتنظيم الدولة وأجهزتها من الفرس والروم ، وغيرهم دون حرج .

أما العلمانية الحالية التي انْفَلت عيارها من كل مبدأ أخلاقي وراحت تعبث حتى في شؤون الأسرة ، فأباحت الشذوذ الجنسي ، وأباحت بل قننت الزواج المثلي ، بمعنى أنه يجوز لرجل في العلمانية الأوربية الحالية أن يتزوج من رجل وللمرأة أن تتزوج من امرأة مثلها ، ولعمري أن في ذلك خسف الإنسانية وانقراض الجنس البشري الذي خلقه اللّه تعالى لعمارة الكون ، وهم يعتبرون ذلك حرية شخصية ومن حقوق الإنسان الأساسية . فإذا تزوج الرجل من رجل مثله فهل سينجبان أولادًا ؟ وكذلك الحال إذا تزوجت المرأة

من امرأة مثلها ! فهل سينجبان أولادًا ؟ وكيف ؟ وإذا فشا ذلك فسوف يؤدي في النهاية إلى فناء الجنس البشري .

إن سنة اللَّه في الكون أنه خلق من كل شيء زوجين حتى من الجمادات ، وجعل نظام الأسرة من أجلِّ نعمه على عباده ومن آيات قدرته وعجائب حكمته . يقول تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١] ، ويقول تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ

أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل : ٧٢] .

إن بقاء النوع الإنساني هو مقصد من مقاصد الشريعة الكلية وضروراتها لا في الشريعة الإسلامية وحدها ، وإنما في كل الشرائع السماوية ، وبقاء النوع يتوقف على الزواج بين رجل وامرأة ، أي : بين ذكر وأنثى ليتأتَّى الإنجاب ، عن طريق بناء أسرة شرعية .

فإذا جاءت العلمانية وحللت للناس من هذا النظام واعتبرته نظامًا آليًا فإنها هنا تصطدم اصطدامًا حقيقيًّا مع كل الأديان ، وليس مع الإسلام وحده .

وكلنا يذكر الموقف الموحد الذي وقفه الأزهر الشريف والكنيسة معًا في التصدي لهذه الأفكار والاتجاهات الشاذة التي تصادم الفطرة البشرية السوية ، وذلك في مؤتمر التنمية والسكان الذي انعقد في القاهرة في خريف سنة (١٩٩٤م) وكيف استطاع الأزهر والكنيسة توحيد مواقفهما المنبثقة من جوهر الأديان ضد طغيان هذا الفكر العلماني المتطرف .

لكل هذا رفض الفكر الإسلامي العلمانية منذ بداية ظهورها في العالم الإسلامي ورأينا رد الفعل العنيف الذي قوبل به كتاب « الإسلام وأصول الحكم »

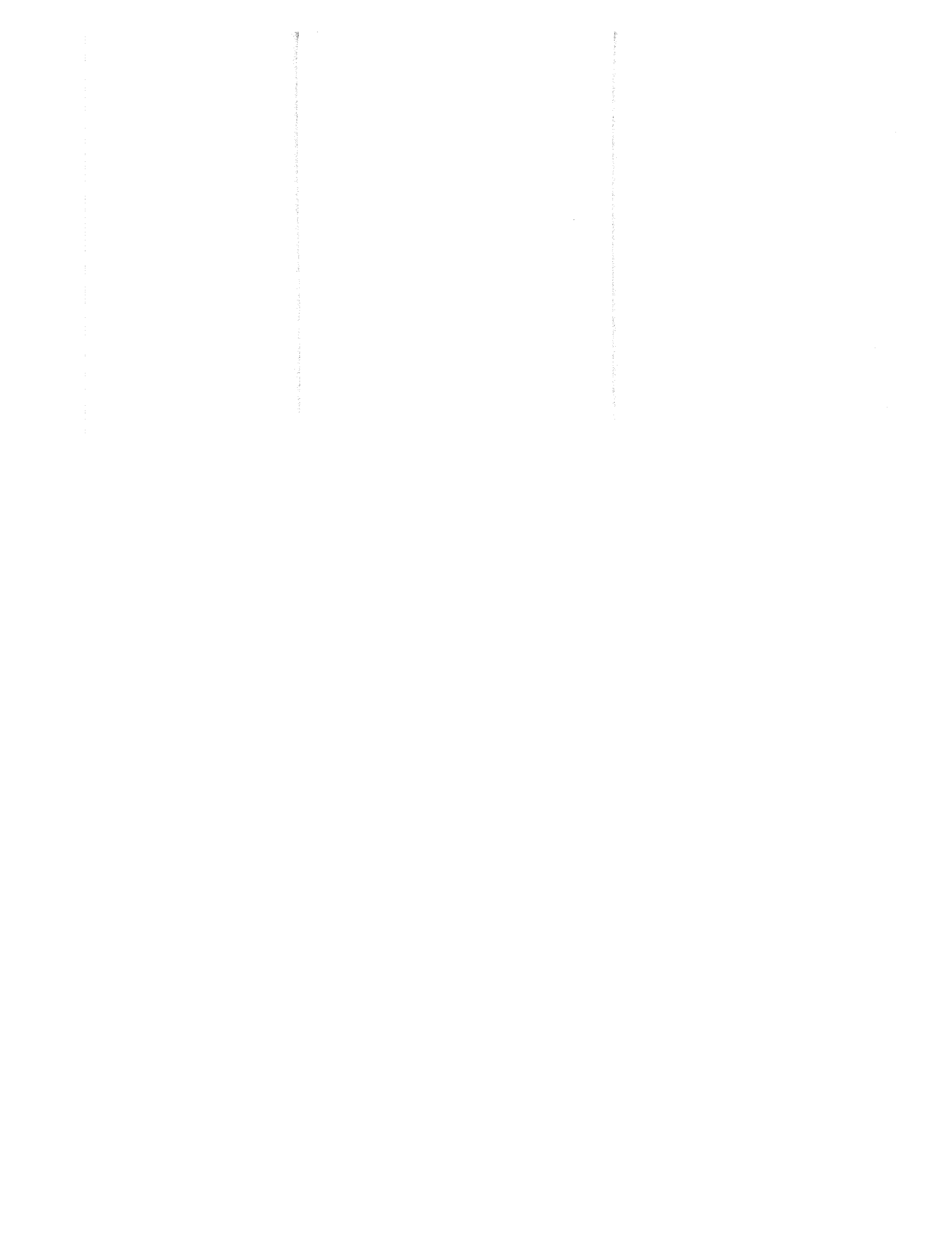
الذي ألفه الشيخ الأزهري علي عبد الرازق سنة (١٩٢٥م) وتصدَّى للرد عليه طائفة من كبار علماء الأزهر ، منهم : فضيلة الإمام الأكبر محمد الخضر حسين ، وفضيلة الإمام محمد بخيت المطيعي ، والدكتور محمد البهي ويتصدَّى لهذا الفكر العلماني الآن بالرفض والتفنيد طائفة كبيرة من العلماء ، مثل : الشيخ يوسف القرضاوي في كثير من كتاباته ، وبصفة خاصة في واحد من أحدث كتبه والذي يحمل عنوان : « الإسلام والعلمانية وجهًا لوجه » ، والأستاذ محمد قطب في معظم كتاباته وبصفة خاصة في كتابيه : « مذاهب

فكرية معاصرة » ، و « العلمانيون والإسلام » والدكتور محمد عمارة في معظم كتاباته وبصفة خاصة كتابيه : « العلمانية ونهضتنا الحديثة » ، و « سقوط الغلو العلماني » ، والدكتور محمد عبد الجبار في الجزء الذي كتبه في كتاب « الديمقراطية بين العلمانية والإسلام » ، والدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي في كتابه « العلمانية نشأتها وتطورها في الحياة الإسلامية المعاصرة » والقائمة طويلة غير أن المقام لا يتسع هنا لأكثر من هذا .

وبعد فأرجوا أن أكون قد وفقت في عرض وتوضيح قضية العلمانية منذ نشأتها

والظروف التاريخية لتلك النشأة وكيف تطورت وانتقلت إلى العالم الإسلامي ، وكيف استقبلها الفكر الإسلامي ، وما هو موقفه منها ؟

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ .



الفهرس

رقم الإيداع
٢٠٠٦/٩٧٨٥
I.S.B.N **الترقيم الدولي**
977 - 342 - 383 - 2

السيرة الذاتية للمؤلف



الاسم : أ.د. عبد الشافي محمد عبد اللطيف .

تاريخ الميلاد : ١٩٣٦/٧/١٠.

حصل على الإجازة العالية [الليسانس] في التاريخ والحضارة الإسلامية من قسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة سنة ١٩٦٦م ، وعين معيدًا بقسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية بالقاهرة في ١٩٦٦/١٠/١٦م .

حصل على الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية سنة ١٩٦٨م ، وعين مدرسًا مساعدًا في ١٩٧٢/٢/١٠م ، وحصل على الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية سنة ١٩٧٤م ، وعين

مدرسًا في ١٩٧٤/٧/٣١م ، وثم أستاذًا مساعدًا في ١٩٧٩/٩/١٩م ، ثم أستاذًا في ١٩٨٤/١٠/١٠م ، ثم أستاذًا متفرغًا في ٢٠٠١/٧/١١ حتى الآن .

له الكثير من المؤلفات منها : تاريخ الإسلام في عصر النبوة والخلافة الراشدة – مؤتمر السقيفة وبيعة أبي بكر الصديق ﷺ [دراسة نقدية تحليلية] – العالم الإسلامي في العصر الأموي – تاريخ الحركة الوطنية المصرية في مواجهة الاستعمار والصهيونية [بالاشتراك] – التاريخ الإسلامي من ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية [بالاشتراك] – الجيش المصري من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الإخشيدية – دراسات في تاريخ الدولة الأموية – الإدارة في الإسلام .

وهو عضو بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالقاهرة ، وجمعية الدراسات الإسلامية بالقاهرة ، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ، واتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، واللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة في التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة الأزهر بالقاهرة ، ولجنة ترقية الأساتذة بجامعتي الملك عبد العزيز بجدة وأم القرى بمكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية ، واشترك في العديد في المؤتمرات والندوات العلمية في داخل مصر وخارجها . مثل : المملكة العربية السعودية - الجزائر - إيطاليا وأشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية .

(من أجل تواصلٍ بنّاء بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم . . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

نشكر لك اقتناءك كتابنا : « العلمانية في الفكر الإسلامي » ورغبة منا في تواصلٍ بنّاء بين الناشر والقارئ ، وباعتبار أن رأيك مهمٌ بالنسبة لنا ، فيسعدنا أن ترسل إلينا دائمًا بملاحظاتك ؛ لكي ندفع بمسيرتنا سويًا إلى الأمام .

*** فهيّا مارس دورك في توجيه دفة النشر باستيفائك للبيانات التالية :-**

الاسم كاملًا : .... **الوظيفة :** ....

المؤهل الدراسي : .... **السن :** .... **الدولة :** ....

المدينة : .... **حي :** .... **شارع :** ...... **ص.ب:**.......

تليفون: ☐☐☐☐☐☐☐ / ☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐ **e-mail :**

- من أين عرفت هذا الكتاب ؟

☐ أثناء زيارة المكتبة ☐ ترشيح من صديق ☐ مقرر ☐ إعلان ☐ معرض

- من أين اشتريت الكتاب ؟

اسم المكتبة أو المعرض : ....المدينة............

العنوان ....

- ما رأيك في إخراج الكتاب ؟

☐ عادي ☐ جيد ☐ متميز (لطفًا وضح لِمَ) ....

....

(من أجل تواصلٍ بنّاء بين الناشر والقارئ)

(من أجل تواصل بنّاء بين الناشر والقارئ)

- **ما رأيك في سعر الكتاب ؟** □ رخيص □ معقول □ مرتفع

(لطفًا اذكر سعر الشراء)........ العملة ....

- **هل صادفت أخطاء طباعية أثناء قراءتك للكتاب ؟**

□ نادرًا □ يوجد أخطاء طباعية □ موضع الخطأ ....

....

....

عزيزي انطلاقًا من أن ملاحظاتك واقتراحاتك سبيلنا للتطوير وباعتبارك من قرائنا فنحن نرحب بملاحظاتك النافعة . . . فلا تتوانَ ودَوِّن ما يجول في خاطرك : -

....

....

....

....

دعوة : نحن نرحب بكل عمل جاد يخدم العربية وعلومها والتراث وما يتفرع منه ، والكتب المترجمة عن العربية للغات العالمية - الرئيسية منها خاصة - وكذلك كتب الأطفال .

عزيزي القارئ أعد إلينا هذا الحوار المكتوب على

e-mail:info@dar-alsalam.com

أو ص.ب ١٦١ الغورية - القاهرة - جمهورية مصر العربية

لنراسلك ونزودك ببيان الجديد من إصداراتنا